جامعة الأزهر
كلية أصول الدين بالقاهرة
قسم التفسير

سورة النازعات وبيان أهدافها

رسالة أعدها الطالب

محمد عرفان شمسي بن غلام عثمان

لنيل درجة التخصص (الماجستير)
في التفسير وعلوم القرآن

تحت اشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الوهاب عبد الوهاب فايد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مقـــــدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على رسوله الذى اصطفاه الله سبحانه لهداية الانس والجن قاطبة ، ثم الصلاة والسلام على آله الطيبين ، وصحبه الطاهرين الذين اتبعوه باحسان الى يوم الدين .. أما بعد :

فان هذا البحث الذى أتقدم به الى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين للحصول على درجة التخصص (الماجستير) فى التفسير موضوعه هو ((سورة النازعات وبيان أهدافها)) .

وقد هدانى الله تعالى الى اختيار هذا الموضوع بعد تفكير طويل من جانبى ، وقد دفعنى الى اختيار هذا الموضوع أمران :

الأمر الاول :

انه كثيرا ما كان يجول بخاطرى أن أقوم بتفسير سورة من سور القرآن الكريم ، فان تفسير القرآن عمل صالح يتقرب به العبد الى ربه ، ويرجو به حسن المآب .

واعتقد أن تفسير هذه السورة الكريمة (سورة النازعات) ما هو الا اسهام منى فى خدمة كتاب الله تعالى ، وتفسير آياته البينات .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان تفسير هذه السورة الكريمة يحقق لى أمنية طالما تمنيتها ، ودعوت الله أن يوفقنى اليها .

وأسأل الله أن يتقبل أعمالنا ، وأن يجعلنا من أولئك الذين يستمعون

القول فيتبعون أحسنه ، ان ربى سميع الدعاء .

الأمر الثانى :

ان بلادى – بلاد الهند – معروفة منذ القديم بدياناتها المتعددة وان الذى يزور تلك البلاد يرى ما فيها من عبادة الأوثان ، وانكار البعث والجـــزاء .

ولا شك أن هذه السورة الكريمة – سورة النازعات – تتحدث عن بعض هذه المعتقدات ، وتنعى بشدة على أولئك الذين يعتنقونها .

ولقد أردت بتفسير هذه السورة أن أسهم بنصيب فى محاربة هـــذه المعتقدات الباطلة الـتى تنتشر فى بلادى – الهند – بصفة خاصـــة ، وفى العالم بصفة عامـــة .

وقبل أن أدخل فى دراسة هذا الموضوع ، يجدر بى هنا أن أذكـر بايجاز بعض جوانب العظمة فى أسلوب القرآن الكريم ، اذ أن ســـــورة النازعات جزء منـــــه .

ان نظم القرآن على تصرف وجوهـه ، وتعدد أغراضه ، خارج عـن المعهود من كلام العرب ، نثرا ، وشعرا . وان للقرآن أسلوبا ينفرد بـه ويتفوق على كـل مـا عرفه البشـر من الأساليب .

ذلك أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه ، لا يتفاوت ، ولا يتباين علـى كثرة ما يتصرف فيه من الموضوعات مثل القصص ، والمواعظ ، والأحكـــام ، والمعاملات ، والوعد ، والوعيد ، والاستدلال ، والاحتجاج ، وغير ذلك .

أمـا كلام البشر ، فانه يفضل بعضه بعضا . وقد نجد من الشعـــراء مـن يجيد المدح ، دون الهجاء ، ومنهم من يجيد فقط وصف الطبيعة ،

والخيل ، والنيل ، بل قد لا نجد فى القصيدة الطويلة ، غير بيت واحد من الشعر له التفوق على جميع ما فيها من أبيات .

واذن فليس للعرب كلام يشبه كلام الله تعالى من حيث الفصاحة ، والتصرف البديع ، والمعانى اللطيفة ، والتناسب البليغ ، حيث ان القرآن قد جاء على كثرته ، وطوله نمطا واحدا فى البلاغة ، والاعجاز ، وصدق الله العظيم ، اذ يقول : " أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(١) .

"وسورة النازعات"التى هى موضوع هذه الدراسة تحتوى على أمور شتى من قصص ، ووعيد ، وانذار ، وتبشير ، وتخويف ، وهى نموذج لاشعار القلب البشرى حقيقة الآخرة ، بجميع ما فيها من هول ، وضخامة . ولقد ذكرت فيها تلك الحقيقة الهائلة العظيمة ، بأسلوب تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ويتدبرون فى الكون ، وعظمته من بدايته الى نهايته ، كما ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون ، وهلاكه ، بسبب عناده وكفره .

ثم نبّه الله تعالى فى هذه السورة الكريمة الانسان الى الكون المفتوح ، ومشاهده الهائلة .

وبعد ذلك بين مشاهد القيامة الكبرى ، وما يصاحبها من جزاء على ما كان فى الحياة الدنيا ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ،

هذا ، وينبغى فى بداية هذا البحث أن أتحدث عن أمرين :

الأمر الأول : هو بيان منهجى فى دراسة هذا الموضوع بصفة عامة .

الأمر الثانى : هو بيان منهجى فى تفسير " سورة النازعات " .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٨٢) .

أولا : منهجي في دراسة هذا الموضوع بصفة عامة :

لقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه الى تمهيد وستة مباحث ، وخاتمة . أما " التمهيد " فهو يدور حول التعريف بسورة النازعات ، وتاريخ نزولها ، وبيان وجه مناسبتها لما قبلهـا .

وأما " المبحث الأول " : فيدور حول القسم ، والمقسم عليه فـي السورة ، ويتناول المبحث هذه الآيات ، من ١ ـ ٩ ،

وهي قول الله تعالى : (والنازعات غرقا . والناشطات نشـطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمرا . يوم ترجـف الراجفة . تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة .) .

وأما " المبحث الثاني " : فيدور حول انكار المشركين للبعث ، والرد عليهم . وسأتناول هذا المعنى بالبحث ، والدراسة ، خلال الآيات من العاشرة الى الرابعة عشرة ،

وهي قول الله تبارك وتعالى : (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أءذا كنا عظاما نخرة . قالوا تلك اذا كرة خاسرة . فانما هي زجـرة واحدة . فاذا هم بالساهرة .) .

وأما " المبحث الثالث " : فيذكر فيه حديث موسى عليه السـلام ، حين اصطفاه ربه ، وأرسله الى فرعون ، وقومه .

ويبدأ هذا الحديث من الآية الخامسة عشرة ، وينتهي الـى السادسة والعشـرين ،

وهي قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى . اذ ناداه ربـه

بالوادى المقدس طوى • اذهب الى فرعون انه طغى • فقل هل لك الى أن تزكى • وأهديك الى ربك فتخشى • فأراه الآية الكبرى • فكذب وعصى • ثم أدبر يسعى • فحشر فنادى • فقال أنا ربكم الأعلى • فأخذه الله نكال الآخرة والأولى • ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى •) •

وأما " المبحث الرابع " : فيدور حول بعض مظاهر قدرة الله عز وجل •

ويتناول دراسة الآيات من الآية السابعة والعشرين الى الثالثة والثلاثين •

ففى هذه الآيات يبين الله عز وجل قدرته ، وعظمته ، فى صورة من صور الاستفهام التقريرى ، ثم يحصى آلاءه التى أنعمها على العباد فيقول : (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها • رفع سمكها فسواها • وأغطش ليلها وأخرج ضحاها • والأرض بعد ذلك دحاها • أخرج منها ماءها ومرعاها • والجبال أرساها • متاعا لكم ولأنعامكم •) •

وأما " المبحث الخامس " : فهو يتضمن الحديث عن يوم القيامة ، وما فيه من ثواب ، وعقاب •

ان هذا المبحث يبدأ شوطه بالآية الرابعة والثلاثين ، وينتهى مطافه الى ختام الآية الاحدى والأربعين •

وهى قول الله تعالى : (فاذا جاءت الطامة الكبرى • يوم يتذكر الانسان ما سعى • وبرزت الجحيم لمن يرى • فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى •) •

وأما "المبحث السادس" : فيذكر فيه سؤال المشركين الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، ويدور ذلك بين الآيات الخمسة الأخيرة من الآية الثانية والأربعين ، الى السادسة والأربعين .

وهى قوله تعالى : (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها .) .

وأما "الخاتمة" : فقد بينت فيها أهداف السورة ومقاصدها .

ثانيا : منهجي في تفسير سورة النازعات :

ان منهجي الذي سأسلكه في تفسير آيات هذه السورة الكريمة ، يقوم في كل مبحث على تمهيد ، وأسس ثلاثة :

أما "التمهيد" ، فيتعلق بموضوع الآيات التي تدور حولها الدراسة .

وأما " الأساس الأول " : فهو بيان وجه مناسبة الآيات لما قبلها ، وسبب النزول ان وجد .

وأما " الأساس الثاني " : فهو الدراسة التحليلية للآيات من حيث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة .

وأما " الأساس الثالث " : فهو بيان المعنى الاجمالي للآيات ، وما يستنبط منها .

واذا كان من دواعي الوفاء أن ينسب الفضل لذويه فانني أنوه ، وأعتز بفضل الأستاذ الدكتور/ عبدالوهاب عبدالوهاب فايد المشرف على الرسالة الذي عانى أكثر مما عانيت في اعداد هذه الرسالة ، وأعطى شطرا كبيرا من وقته رغم عبء مسئوليته في التدريس ، وغيره ، وأكرمني باعطاء توجيهات قيمة ، وملاحظات دقيقة لما أسداه لي من عون ، من أولى الخطى ، حتى أشرفت على النهاية . فجزاه الله عني أحسن الجزاء ، وأطال حياته ، وجعله ذخرا للاسلام والمسلمين .

ولا أدعي أنني قلت الكلمة الأخيرة في تفسير " سورة النازعات " المملوءة بالأسرار ، والمعاني . فكلما أمعن فيها الباحث نظره ، أخرج منها الدرر الثمينة من معانيها المكنونة .

وعلى الله قصد السبيل ..

تمهید

تمهيـــد :

هذا تمهيد عقدته بين يدى السورة الكريمة ـ " سورة النازعات " ـ ، وسأتناول فيه ان شاء الله تعالى بالبحث مجموعة من النقاط التى لا بد من معرفتها ، قبل الدخول فى تفسير السورة الكريمة .

وهـــذه النقاط هـــى :

(١) تحقيق اســـم الســـورة .

(٢) وجه تسمية هذه السورة بهذا الاسم .

(٣) تاريخ نزول السورة ، ووجه مناسبتها لما قبلها .

(٤) أقوال العلماء فى عدد آيات " سورة النازعات .

أولا : تحقيق اسم السورة :

نجد المفسرين قد انقسموا فى ذكر اسم هذه السورة الكريمـــة الى فريقين : فريق منهم ذهب الى أن اسمها "النازعات" بدون "واو" .

وهم : ابن جرير الطبرى[١] ، والشيخ الطوسى[٢] ، وأبو الحسن على بن أحمد الواحدى[٣] ، وابن مسعود الفراء البغوى[٤] ، والشيخ

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٣٠ ص ١٨ لابن جرير الطبرى .

(٢) تفسير التبيان ج ١٠ ص ٢٥٠ للشيخ الطوسى .

(٣) كتاب الوجيز فى تفسير القرآن العزيز (على هامش مراح لبيد) ج ٢ ص ٤٢٤ للامام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى .

(٤) معالم التنزيل (على هامش تفسير الخازن) ج ٧ ص ٢٠٤ لابن مسعود الفراء البغـــــوى .

الشوكانى [١] ، والامام القرطبى [٢] ، والبيضاوى [٣] ، وأبو السعود [٤] ، والألوسى [٥] ، والامام الشيخ محمد عبده (رحمهم الله) [٦] .

وفريق آخر ذهب الى أن اسمها " والنازعات " جعل " الواو " جزءا من اسم السورة ، وهم :

الامام الزمخشرى [٧] ، والامام تاج الدين (تلميذ أبى حيان) [٨]

وبعد ذكر مذاهب العلماء نرجح المذهب القائل بـ " سورة النازعات " بدون واو وذلك لأمرين :

أحدهما أن كثيرا من علماء التفسير ذكروا أن اسمها " سورة النازعات " بدون واو .

والثانى ، ما ذكره الامام السيوطى (رحمه الله) فى كتابه " الدر المنثور فى التفسير بالمأثور " وهو ما أخرجه ابن الضريس والنحاس ، وابن مردويه ، والبيهقى ، "عن ابن عباس" رضى الله عنهما قال : " نزلت سورة النازعات بمكة " [٩] .

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٣٦٠ للشيخ الشوكانى .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ١٩٠ للامام القرطبى .
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ٤ ص ١٧١ للبيضاوى .
(٤) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ج (٩) ص(١٥) للشيخ أبى السعود .
(٥) روح المعانى ج ٣٠ ص٢٢ للشيخ الألوسى .
(٦) تفسير جزء عم ص٩ للشيخ محمد عبده .
(٧) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢١١ للزمخشرى .
(٨) الدر اللقيط من البحر المحيط (على هامش البحر المحيط لأبى حيان) ج ٨ ص ٤٢٠ .
(٩) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص٣١٠ لجلال الدين السيوطى .

ثانيا : وجه تسمية هذه السورة بهذا الاسم :

سميت هذه السورة "بسورة النازعات" ؛ لأنها صدرت بهذا اللفظ. والسورة غالبا تسمى بأبرز حدث يذكر فيها ، وقد ذكرت كلمة "النازعات" في هذه السورة ، والمراد بهم الملائكة - على الأرجح - التي تنزع أرواح الكفار منهم نزعا بشدة . فان هذه الصفة من أبرز صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

ومن هنا سميت هذه السورة " بسورة النازعات " .

ثالثا : تاريخ نزول السورة ، ووجه مناسبتها لما قبلها :

جرى الخلاف حول مكية بعض السور ، ومدنيتها ، الا أن "سورة النازعات" لم يدر أي خلاف حول مكيتها ، فهي مكية بالاجماع .

ويؤيد هذا ، ما قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) في هذا الشأن "ومن السورة التي يذكر فيها النازعات وهي كلها مكية"[1].

وبه قال جميع المفسرين الكرام ، كما أنهم اتفقوا على أنها نزلت بعد سورة النبأ .

ويؤيد ذلك ، ماروله الشيخ الألوسي (رحمه الله) في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما " أنها نزلت عقب سورة عم "[2].

وقد ذكر الامام السيوطي رحمه الله أيضا أن "سورة النازعات"

---

(١) تنوير المقباس ج ٦ ص ٢٠٧
(٢) روح المعاني ج ٣٠ ص ٢٢

نزلت بعد "سورة النبأ" في كتابه "الاتقان" فقال: "عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة "اقرأ باسم ربك" ثم "ن والقلم" ثم "يا أيها المزمل" ثم "يا أيها المدثر"..... الى أن قال: ثم "عم يتساءلون" ثم "والنازعات"[1].

وأما وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها، فـ"سورة النازعات" تتناسب مع سابقتها أيما تناسب، وقد تضمنت سابقتها ذكر البعث، واثباته، وبيان مظاهر القدرة الالهية، كما أنها تعرضت لتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنكرى البعث، بهيئة حالهم يوم القيامة، وجزاء المؤمنين به، ثم ختمها الله سبحانه بذكر أهوال يوم القيامة، وتفخيم شأنه، حيث قال: "انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويقول الكافر يليتنى كنت ترابا"[2] فأنزل الله بعدها هذه السورة التى نحن بصددها مقسما ببعض مخلوقاته العظيمة، على أن البعث حق لا شك فيه، وأن المشركين الذين يجادلون فيه، وينكرونه، سوف يتبين لهم أن يوم القيامة أمر لا مفر منه. (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور)[3]. وقال سبحانه فى آية أخرى (ان الساعة آتية لا ريب فيها، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)[4].

وقد المناسبة بين هذه السورة وسابقتها العلامة الشيخ الألوسى - رحمه الله - قائلا: "وعن ابن عباس أنها نزلت عقب "سورة عم" وأولها يشبه أن يكون قسما لتحقيق ما فى آخر "عم" أو ما

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص٢٥ (٢) سورة النبأ الآية (٤٠)
(٣) سورة الحج الآية (٧) (٤) سورة الغافر الآية (٥٩)

تضمنته كلها "[١] ، كما أن " أبا حيان " ربط بين السورتين فقال : "ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر فيما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيامة ، أقسم في هذه على البعث يوم القيامة "[٢] .

واذا أمعنا النظر في المناسبة بين السورتين ، وجدنا صاحب نظم الدرر " أكثر وضوحا في الربط بين السورتين ، حيث قال : " لما ذكر سبحانه : يوم يقوم الروح ، ويتمنى الكافر العدم ، أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما يتأثروا عنه من البعث ، وساقه على وجه التأكيد بالقسم ، لأنهم به مكذبون ، فقال : (والنازعات)[٣] .

فقد ارتبط أول " سورة النازعات " بآخر " سورة النبأ " ارتباطا وثيقا ، بناء على ماذكره البقاعي — رحمه الله — .

رابعا : أقوال العلماء في عدد آيات " سورة النازعات " :

قال : الشيخ الطوسي في تفسيره " التبيان " على وجه التحديد " وهي ست وأربعون آية في الكوفي ، وخمس وأربعون في البصري والمدنيين "[٤] .

وجزم بعض أئمة التفسير ، بأنها ست وأربعون آية ، كالامام البغوي[٥] ، والامام النسفي[٦] ، والشيخ محمد عبده[٧] .

---

(١) روح المعاني ج ٣٠ ص ٢٢ (٢) البحر المحيط ج ٨ ص ٤١٨ .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، ج ٦ ص ٢٤٩ (ب) (مخطوط) بدار الكتب تحت الرقم (٢١٣) تفسير .
رر رر رر رر رر رر ج ٧ ص ١٨٩ (ألف) (مخطوط) بمكتبة الأزهر تحت الرقم الخاص (٥٩٠) الرقم العام (١٢٨٥٥) تفسير .
(٤) التبيان للطوسي ج ١٠ ص ٢٥٠ .
(٥) تفسير البغوي ، (على هامش تفسير الخازن) ج ٧ ص ٢٠٤ .
(٦) تفسير النسفي ج ٤ ص ٣١٣ . (٧) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ٩٠ .

وأما الامام الزمخشري فقال في تفسيره "الكشاف" : " وهي خمس وأربعون آية "(١) .

ولعله اختار قول ابن عباس رضي الله عنهما الذي قال : "آياتها خمس وأربعون "(٢) .

وقال الامام القرطبي رحمه الله : " وهي خمس ، أو ست وأربعون آية(٣) ، ولم يحدد أحد العددين ، وبه قال الامام البيضاوي(٤) ، والخازن(٥) ، والخطيب الشربيني(٦) ، والعلامة أبو السعود(٧) ، واسماعيل حقي(٨) ، والشيخ الشوكاني رحمهم الله قالوا : " هي خمس وأربعون آية ، وقيل : ست وأربعون آية(٩) ولعل الشيخ الشوكاني - رحمه الله - أخذ هذا القول من تفسير الخازن ، وهو الذي قال : ((وهي ست ، وقيل : خمس وأربعون آية))(١٠) .

وأما الشيخ الألوسي (رحمه الله) فقد حذا في ذلك حذو الشيخ أبي عمرو الداني في محاولة التحديد بين هذين العددين حيث قال : " وعدد آيها ست وأربعون في الكوفي ، وخمس وأربعون

---

(١) الكشاف - ج ٤ ص ٢١١ .
(٢) تنوير المقباس تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ج ٦ ص ٢٠٧ .
(٣) تفسير القرطبي - ج ١٩ ص ١٩٠ (٤) تفسير البيضاوي - ج ٤ ص ١٧١ .
(٥) تفسير الخازن - ج ٧ ص ٢٠٤
(٦) السراج المنير للخطيب الشربيني ج ٤ ص ٤٧٥ .
(٧) تفسير أبي السعود ج (٩) ص (٩٥) .
(٨) تفسير روح البيان ج ١٠ ص ٣١٤ .
(٩) فتح القدير ج ٥ ص ٣٦٠
(١٠) تفسير الخازن ج ٧ ص ٢٠٤

فى غيره "(١) .

بعد سرد أقوال أئمة التفسير فى عدد آيات السورة ، يحسن بنا الآن أن ننظر الى الخلاف ، ووجهة نظر كل من القائل بخمس وأربعين ، والقائل بست وأربعين آية .

منشأ الخلاف فى عدد الآيات :

ان اختلافهم فى عدد الآيات يرجع الى طريقة المد عندهم ، فمن عد الآية " والجبال أرساها " ، وما بعدها آية واحدة ، فالمدد عنده خمس وأربعون آية . ومن عدها هى ، وما بعدها آية أخرى فالمدد عنده ست وأربعون آية . وكذلك من عد " طغى " ، وما بعدها آية واحدة ، فعدد آيات السورة عنده خمس وأربعون ، ومن عدها هى آية وما بعدها آية أخرى ، فالمدد عنده ست وأربعون .

وفى ذلك يقول أبو عمرو الدانى : " (وهى أربعون وست آيات فى الكوفى ، وخمس فى عدد الباقين)٦ .

اختلافهما : آيتان ، " ولأنعامكم " لم يعدها البصرى ، والشامى ، وعدها الباقون . " فأما من طغى " لم يعدها المدنيان ، والمكى ، وعدها الباقون "(٢)

---

(١) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٢

(٢) البيان فى عد آى القرآن - لأبى عمرو الدانى (مخطوط فى مكتبة الأزهر) ص (٩١) ب علوم القرآن تحت الرقم الخاص (٥٣٦) . الرقم العام ٢٢٢٧٩ .

المبحث الأول

((المبحـــث الأول))

القســـم والمقسم عليه

فـي

الســـورة الكريمـــة

(١٦)

النـــص القـرآنى

الـــذى

تـــدور حـــوله الدراســـة

فـــى

المبحـــث الأول

بســـم اللـــه الرحمـــن الرحـــيم

قال الله تبارك وتعالى : (والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا ، يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفـة ، قلوب يومئـذ واجفة ، أبصارها خاشعة .) .

((الآيـات : مـن (١) الـى (٩)))

تمهيـــد :

قبل أن نعرض تفسير الآيات التى تتعلق بالقسم فى هـــذه السورة الكريمة ، نود أن نذكر مقدمة موجزة عن القسم فى القـــرآن الكريم بصفة عامة ، وهذه المقدمة تحتوى على نقطتـــين :

(١) معنى القســم وأركانـــه .

(٢) فائـــدة القسم فى القرآن الكريم .

النقطة الأولى : معنى القسم وأركانه :

القسم : معناه اليمين ، ويجمع على أقسام أى أيمان ، يقـــال قسم على كذا ، وأقسم على كذا ، أى حلف عليه . وقد جاء فى "مختار الصحاح" ما يبين ذلك "القسم بفتحتين : اليمين ، وكـــذا القسم ، وهو مصدر كالمخرج ، وأقسم حلف ، وقاسمه حلف لـــه "(١) . ومنه قوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم)(٢) ، وقوله جل ، وعلا : (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين)(٣) .

وقال الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط : القسم محركة وكمكـــرم اليمين بالله تعالى ، وقد أقسم ، وموضعه مقسم كمكرم ، واستقسمـــه ، وبـــه ، وتقاسما : تحالفا(٤) .

---

(١) ملخصا من مختار الصحاح ص٤٦٥ (٢) سورة فاطر الآية (٤٢)
(٣) سورة الأعراف ـ الآية (٢١) (٤) القاموس المحيط ج ٤ ص١٦٤ـ١٦٥

ويقول الزمخشرى رحمه الله : " وأقسم بالله قسما باطلا ، وقاسمهما حلف لهما ، وتقاسموا بالله تحالفوا ."[١]

ومنه قوله جل ، وعلا فى القرآن الكريم : (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة)[٢] . و : (قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون)[٣] ، كما جاء فى كلام العرب ، فيقول طرفة[٤] منشدا فى معلقتـــه :

كقنطرة الرومى أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد[٥]

ونرى ابن منظور فى كتابه " لسان العرب " يبيّن استعمالات كلمة القسم ، ومشتقاته فى كلام العرب . يقول : القسم بالتحريك اليمين ، وكذلك القسم ، وهو المصدر مثل المخرج ، والجمع أقسام . وقد أقسم بالله ، واستقسمه به ، وقاسمه حلف له ، وتقاسم القوم : تحالفوا ."[٦]

---

(١) أساس البلاغة . ص ٧٦٦ . (٢) الأعـــراف (٤٩) .
(٣) النمـــل (٤٩) .
(٤) هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ، بن مالك ابن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة البكرى ، الوائلى (أبو عمرو) شاعر جاهلى ، المتوفى عام (٥٦٤م) أو (٦٠ ق هـ) . (معجم المؤلفين ج ٥ ص ٤٠ ، والأعلام للزركلـــى ج ٣ ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥) .
(٥) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٥ .
قنطرة : الجسر (لسان العرب ج ٦ ص ٤٣١) .
الرومى : واحد الروم . و " الروم جيل من الناس معروف كالعرب والفرس وغيرهم " (تهذيب الأسماء واللغات . القسم الثانى ص ١٣٠)
اكتنف القوم فلانا : أحاطوا به .
قرمد : الآجر (المحكم فى اللغة ج ٦ ص ٣٨٩) .
(٦) لسان العرب ج ١٥ ص ٣٨١ .

وبهذا اتضح أن استعمال كلمة القسم فى معنى اليمين شائع فى كلام العرب .

أما أركان القسم فهى :

(١) أداة القسم : وهى التى تدخل على المقسم به ، وعددها ثلاثة .

(١) الواو . (٢) والباء . (٣) والتاء .

تدخل الواو على لفظ الجلالة ، وعلى فعل من أفعاله ، مثل "وما بناها" ، كما تدخل على الوقت مثل (والضحى) و : (والليل اذا يغشى) .

والباء تجتمع دائما مع فعل القسم كقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) ، و : (يحلفون بالله) .

وأما التاء ، فهى مختصة بالدخول على لفظ الجلالة . ومنه قوله تعالى : (تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) [1] ، وقوله تعالى : (تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) [2] .

وتفيد معنى القسم اذا اتصلت بكلمة "رب" ، وهو مضاف الى الكعبة ، أو الى الياء المتكلم ، كما تقول العرب : "ترب الكعبة" ، و "تربى" ، و "تالرحمن" . [3]

---

(١) سورة يوسف . الآية (٨٥)

(٢) سورة يوسف . الآية (٩١)

(٣) أنظر مغنى اللبيب ج ١ ص ٩٨ وشرح شذور الذهب ص ٨٤

(٢) المقسم بـه : وهو مـا يقسم بـه ، وتتقدمه أداة القسم .

(٣) المقسم عليه : وهو مـا يساق القسم لأجل اثباته ، أو نفيه ، وسمى جـــواب القســـم ـ أيضا ـ .

(٤) الرباط بين المقسم بـه ، والمقسم عليه :

أقسم الله سبحانه وتعالى فى قوله : (والضحى والليـل اذا سجى) بضوء النهار بعد ظلمة الليل علـى ضوء الوحى ، ونوره ، بعد ظلمة احتباسه ، واحتجابه ، وذلك ، لأن نور الضحى الـذى يوافى بعد ظلام الليل ، وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه .(١) اذن عرف أن الرباط بين المقسم بـه ، والمقسم عليه هـو المعنى ، أو الصفة التى توجد بين ضوء النهار ، وبين استمـرار الوحى ، وبين ظلمة الليل ، وبين فترة انقطاع الوحى ، حتى قال مـن قال ، ودع محمدا ربـه ، لأن الوحى الذى كان يأتى مـن عند الله سبحانه قـد توقف لفترة ، ولحكمة لا يعلمها الا هو ، وكان ذلك بمثابة الظلمة ، كما كان لـه أثر عميق فى نفس النبى صلـى اللـه عليـه وسـلم .

فاذا أمعنا النظر فى المقسم بـه ، والمقسم عليه ، وجدنا العلاقـة بينهمـا قويـة .

---

(١) أنظر التبيان فى أقسام القـرآن ص ٥٣ .

ويرى بعض الباحثين[1] أن فعل القسم ركن مستقل من أركان القسم ، والحقيقة أنه ليس كما زعم الباحث ، وانما يدخل فعل القسم فى نطاق أداة القسم ، وذلك لأمرين :

(١) ان فعل القسم لا يوجد فى كثير من مواضع القسم فى القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : (والنازعات غرقا .)[2] ، وقوله تعالى : (والضحى والليل اذا سجى .)[3] ، وقوله تعالى : (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين .)[4] .

فهذه الآيات الكريمة التى ذكرتها لا يوجد فيها فعل القسم ، ولو كان فعل القسم ركنا مستقلا بذاته ، كأركان القسم الأخرى لما تم القسم الا به .

(٢) ثم ان كلام هذا الباحث يدل على ضعف ما ادعاه من أن فعل القسم أحد أركان القسم ، لأنه عبّر بقوله : " وقد تجتمع هذه الأركان الخمسة ..... الخ " .

ومن المعلوم أن " قد " اذا دخلت على المضارع ، أفادت معنى التقليل ، واذا دخلت على الماضى ، أفادت معنى التحقيق .

---

(١) يراجع ص١٤٢ من " آيات القسم فى القرآن الكريم " (رسالة ماجستير) للأستاذ / أحمد كمال محمد المهدى المسلم .
(٢) سورة النازعات ـ الآية (١) .
(٣) سورة الضحى ـ الآيتان (١ ـ ٢) .
(٤) سورة يوسف ـ الآية (٨٥) .

النقطة الثانية : فائدة القسم فى القرآن الكريم :

من البديهى أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وعلى وفق أساليبهم المتعارفة فيما بينهم – آنذاك – ومن هذه الأساليب أسلوب القسم الذى كان معروفا لديهم ، والذى كانوا يستخدمونه فى كلامهم ، كما أنهم كانوا يستقبلون الكلام المبدوء بالقسم بعناية ، واهتمام ، فعلى هذه العادة المعروفة ، أقسم الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ، بأشياء كثيرة ، على أشياء عديدة . ولله أن يقسم بأشياء على ما شاء .

والقسم بصفة عامة له فوائد متعددة ، أهمها ما يأتى :

(١) ارادة التوكيد : من المعلوم أن العرب اذا أرادوا أن يؤكدوا أمرا من الأمور كانوا يلجأون الى القسم ، فيضمون الكلام موضع القطع ، حيث يجعلوه دليلا على اثبات الحق .

وقد أشار الى ذلك الامام السيوطى (رحمه الله) بقوله :

" القصد بالقسم تحقيق الخبر ، وتوكيده ، حتى جعلوا مثل : (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)[1] قسما وان كان فيه اخبار بشهادة ، لأنه لما جاء توكيدا للخبر ، سمى قسما "[2]

(٢) ابراز المعقول فى صورة المحسوس : وذلك لتتضح فى الذهن ، وتتأكد فى النفس ، أيما تأكد .

ومنه قوله تعالى : (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى)[3] فأقسم

---

(١) سورة المنافقون – الآية (١) . (٢) الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٣٥ .
(٣) سورة الليل – الآيتان (١ – ٢) .

الله سبحانه وتعالى ، بالليل مشيرا الى أن يندحر الباطـــل ، ويغلب الحق ، كما أن الليل يولى ، ويعقبه ضوء الصبح المشـرق .

هذا ما يتعلق بفوائد القسم بصفة عامة . وبعد ذلك نتساءل هنـــا هـل للقسم فائدة خاصة فى القرآن الكريم ؟ . نعم هناك فوائد متعددة .

فمن المؤكد أن أى قسم من أقسام القرآن الكريم ، لا يخلو من فائدة أو حكمة ، لأنه منزل من لدن حكيم خبير .

فوائد القسم الخاصة فى القرآن الكريم :

واذا ألقينا نظرة على أقسام القرآن الحكيم ، رأينا أن الله تعالـــى أقسم ، تارة بذاته ، وأخرى بخلقه الدال على كمال قدرته ، وبديـــع صنعه ، وعلى ربوبيته ، ووحدانيتـه . ولله درّ القائـل :

وفى كـل شىء لـه آية ∗ تدل علـى أنـه واحـد

وقـد أجاد العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى توضيح تلك الفكرة حيث يقول : " وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور ، وانما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته ، وآياته المستلزمة لذاته ، وصفاته ، واقسامه ببعض المخلوقات دليل علـى أنـه من عظيم آياتـه "(١) .

واذن فاننا نستطيع أن نقول ان الفوائد التى تتعلق بأقسام القـــرآن الكـريم يمكن أن نقسمهـا الـى نوعين :

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ص٣ .

(١) الفوائد التى تتمثل فيما أقسم الله به .

(٢) الفوائد التى تتمثل فيما أقسم الله عليه .

أما الفوائد التى تتمثل فيما أقسم الله به فمنها :

(١) استحضار عظمة الله ، وجلاله :

وهذه الفائدة تتجلى فى القسم بالله جل جلاله ، فان الانسان اذا ما أقسم بالله ، فانما يقسم به لما يستشعر فى قلبه من خشية له سبحانه ، وما يستحضر فى نفسه من عظمة لذاته جل جلاله .

ومثال ذلك قول ابراهيم عليه السلام : (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .)[1] . وهذه الفائدة تظهر بأجلى صورها عندما يقسم المؤمنون بربهم ، أما اذا جاء القسم بالله على لسان الكفار ، مثل قوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت)[2] ، فان ذلك التعظيم ، انما يكون على سبيل الادعاء منهم .

(٢) اظهار تكريم المقسم به ، وتعظيم شأنه :

ومن ذلك قوله تعالى : (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون)[3] فقسمه تعالى بحياة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ، لاعلام الناس عظمته عنده ، ومكانته لديه .

قال ابن عباس رضى الله عنه : " ما خلق الله ولا ذرأ ، ولا برأ

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآية (٥٧) (٢) سورة النحل ـ الآية (٣٨) .
(٣) سورة الحجر ـ الآية (٧٢)

نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال : (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون)[1] .

(٣) ارشاد العقول الى فساد بعض المعتقدات :

وهذه الفائدة نلمسها من القسم ببعض الأشياء التى اتخذها الناس آلهة ، مثل الشمس ، والقمر ، والنجوم .

فان الله تعالى يتجه القسم بها بذكر بعض الصفات المتغيرة التى هى خاصة بالحوادث ، والتى لا يمكن بحال أن يتصف بها الاله . وذلك مثل : (والنجم اذا هوى)[2] ومثل : (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها)[3] .

ففى القسم بهذه الأشياء ، وهى فى هذه الأحوال ايحاء للنفس وارشاد للعقل بأنها لا يمكن بحال أن تكون آلهة . كيف ، وهى تغرب بعد طلوعها ، وتأتى بعد أن لم تكن ، ومن يكون كذلك لا يصح أن يعبد ، لأن الاله الحق هو الذى لا يعتريه فى ذاته ، ولا فى صفاته شىء من التغير . قال الله تعالى : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ١٣٤ .
والآية (٧٢) من سورة الحجر .
(٢) سورة النجم ـ الآية (١) . (٣) سورة الشمس ـ الآيتان (١ـ٢) .

هـذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انني بريء مما تشركون . انـي وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)[1]

(٤) توجيه الأنظار الى مافي القسم بـه من أسرار ، وحكم :

تتجلى هذه الفائدة العظيمة في القسم بالكون ، ومـا فيه من الآيات ، والمشاهد الطبيعية . فمن هذا النوع اقسامه سبحانـــه بالسماء ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، والرياح ، والبحر ، والليل والنهـــار .

ومن ذلك قوله تعالى : (والسماء وما بناها والأرض وما طحاها)[2] وقوله تعالى : (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها)[3] . ومثال القسم بالرياح ، والبحر ، كقوله تعالى : (والذاريات ذروا . فالحامـــلات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا .)[4] . وقوله تعالى : (والبحر المســـجور)[5] .

وأما القسم بالليل ، والنهار ، فقوله تعالى : (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى)[6] .

وقـد اتضح مما تقدم أن كل واحد من هـذه الأشياء آيـــة عظيمة مستقلة ، مـن آيات الله التي تدل على وجود الخالق سبحانه

---

(١) سورة الأنعام ـ الآيات (٧٥ـ٧٩) (٢) سورة الشمس الآيتان (٥ـ٦)
(٣) سورة الشمس ـ الآيتان (١ ـ ٢) (٤) سورة الذاريات ـ الآيات (١ـ٤)
(٥) سورة الطور ـ الآيـة (٦) (٦) سورة الليل ـ الآيتان (١ـ٢)

وتعالى ، وتشير الى كمال علمه ، وحكمته ، والى بديع صنعه ، وعظيم قدرته ، لأن هذه المخلوقات كلها يستحيل وجودها بغير فاعل حكيم ، مدبر قدير .

(٥) تعظيم القسم به ، وبيان أهميته :

وتتمثل هذه الفائدة في القسم ببعض الأماكن المقدسة ، وذلك لبيان ما لها من عظمة ، وأهمية كبيرة ، ومن ذلك قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين)[1] .

فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ، ورسله ، فالمراد بالتين ، والزيتون ، كما قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - نفس الشجرتين المعروفتين ، ومنبتهما ، وهو أرض بيت المقدس ، فانها أكثر البقاع زيتونا وتينا . ومنبت هاتين الشجرتين ، حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة فيكون الاقسام قد تناول الشجرتين ، ومنبتهما . وهو مظهر عبدالله ورسوله ، وكلمته ، وروحه ، عيسى بن مريم ، كما أن طور سينين مظهر عبده ، ورسوله ، وكليمه موسى ، فانه الجبل الذي كلمه عليه ، وناجاه ، وأرسله الى فرعون ، وقومه . ثم أقسم بالبلد الأمين ، وهو مكة ، مظهر خاتم أنبيائه ، ورسله ، سيد ولد آدم ، وترقى هذا القسم من الفاضل الى الأفضل ، فبدأ بموضع مظهر

---

(١) سورة التين - الآيات (١ - ٣)

المسيح ، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم ، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ، ورسوله ، وأكرم الخلق عليه ."[1]

وهنى العلامة ابن القيم يقول : " تضمن اقسامه بتلك الأمكنة الثلاثة الدالة عليه ، وعلى علمه ، وحكمته عنايته بخلقه بأن أرسل منها رسلا أنزل عليهم كتبه ، يعرفون العباد بربهم ، وحقوقه عليهم ، وينذرونهم بالله ، ونقمته ، ويدعونهم ، الى كرامته ، وثوابه "[2] .

(٦) ازالة الريبة من القسم به ، واظهار عظمة ما فيه :

وتظهر هذه الفائدة الكبيرة فى القسم بالقرآن الكريم ، اذ القسم به يدل على عظمته ، وأنه منزل من عند الله المنزه من كل نقص ، وعيب ، فكلامه حق مبين ، لا يمكن الارتياب فيه . كما يرشدنا القسم به الى ما فيه من أسباب الخير ، والهداية ، للناس . فسبحان من أنزل هذا الكتاب العظيم .

ويشير الى ذلك ، ما قاله العلامة ابن القيم : " أقسم الله به ـ أى بالقرآن ـ لعظمته ، وجلالته ، وما تضمنه من آيات ربوبيته ، وأدلة توحيده ، وهداية خلقه "[3] .

---

(١) أنظر التبيان فى أقسام القرآن ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(٢) المصدر عينه والصفحة عينها وص ٣٤ .
(٣) أنظر ص ١٩٤ من المرجع السابق .

وبعد أن انتهينا من ذكر النوع الأول من الفوائد ، وهو الذى يتجلى فيما أقسم الله به - نود أن نذكر الآن النوع الثانى منها - وهو الذى يتمثل فيما أقسم الله عليه - اذ أن كل ما أقسم الله عليه فى القرآن الكريم ، لا بد وأن فيه فائدة ، وحكمة ، لأن الحكيم لا يخلو كلامه أبدا من الخير والحكمة .

واليك بيان أهم الفوائد التى تتمثل فيما أقسم الله عليه :

(١) اثبات الوحدانية :

ومن ذلك قوله تعالى : (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، ان الهكم لواحد .)[1] .

(٢) اثبات الرسالة :

ومن ذلك قوله تعالى : (يس ، والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين .)[2] .

(٣) اثبات القيامة وحقيقة الجزاء ، والحساب :

وانظر ذلك فى قوله تعالى : (والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات أمرا ، انما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع .)[3] ، وفى قوله تعالى : (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون)[4] . وفى قوله تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما

---

(١) سورة الصافات - الآيات (١-٤) (٢) سورة يس - الآيات (١-٣) .
(٣) سورة الذاريات - الآيات (١-٦) (٤) سورة النحل - الآية (٥٦) .

كانـوا يعملون ٠)[١] ٠

ان جميع الأمور المقسم عليها فى القرآن الحكيم ، لها أهمية كبـيرة ، ولا سيما الأصول الثلاثة التى جاء بها جميع الرسل الكرام ، وهى اثبـات الوحدانية ، وصدق الرسالة ، ووقـوع القيامة ٠

ومن الجدير بالذكر هنا أن الله سبحانه وتعالى ، قد أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة مواضع بأن يقسم على البعث ـ وذلك لمـا له من أهمية بالغة فـى حياة الناس ، واستقامة أمورهـم ٠

وهـذه المواضع كمـا يلـى :

(١) قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربـى لتأتينكم عالم الغيب ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فـى الأرض ولا أصغر مـن ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين)[٢] ٠

(٢) وقوله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلـى وربـى لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير ٠)[٣] ٠

(٣) وقوله تعالى : (ويستنبئونك أحق هو ، قل اى وربى انه لحق ومـا أنتـم بمعجزين ٠)[٤] ٠

بعـد أن فرغت من هذا التمهيد الذى يدور حول القسم ، وفوائـده

---

(١) سورة الحجر ـ الآيتان (٩٢ـ٩٣) (٢) سورة سبأ ـ الآيـة (٣)
(٣) سورة التغابن ـ الآية (٧) (٤) سورة يونس ـ الآيـة (٥٣)

أقوم الآن بدراسة الآيات الكريمة التى تتعلق بالقسم فى سورة النازعات ، ملتزما بالمنهج الذى ذكرته فى مقدمة الرسالة . ويشتمل على أسس ثلاثة :

(١) الأساس الأول : بيان وجه مناسبة الآيات لما قبلها ، وسبب النزول ان وجد .

(٢) الأساس الثانى : الدراسة التحليلية للآيات من حيث اللغة ، والاعراب والبلاغة ، والقراءة .

(٣) الأساس الثالث : بيان المعنى الاجمالى للآيات ، وبيان مايستفاد منها . واليك بيانها مفصلا :

أما وجه مناسبة السورة لما قبلها فقد سبق ذكره فى التمهيد باعتبار أنه يدخل فى نطاق التمهيد لتفسير هذه السورة فلا داعى لتكراره الآن وسيقتصر حديثى هنا على الأمرين الأخيرين .

الدراسة التحليلية للآيات

من حيث

اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة

(١) قوله تعالى : (والنازعات غرقا) ـ الواو للقسم ـ و " النازعات" واحدها " نازعة " وهى صيغة اسم الفاعل .

وحقيقة " النزع " الجذب ، والقلع ـ يقال : نزع الشيء : جذبه من قعره ، كنزع القوس عن كبده ، ونزع فى القوس ينزع نزعا : اذا مد وترها .

ويستعمل ذلك ـ كما قاله " الراغب الأصفهانى " ـ فى الأعراض . ومنه نزع العداوة ، والمحبة من القلب . قال الله تعالى : (ونزعنا مافى صدورهم من غل)[1] ونزع فلان كذا أى سلب ، ومنه قوله تعالى : (وتنزع الملك ممن تشاء)[2] . وقوله : (والنازعات غرقا) . هى الملائكة التى تنزع الأرواح من الأشباح .

وقال الفراء : تنزع الأنفس من صدور الكفار كما يغرق النازع فى القوس ، اذا جذب الوتر . وقولهم : هو فى النزع أى فى قلع الحياة . وقال ابن الأعرابى : " أنزع الرجل ـ اذا ظهرت نزعاته "[3] .

((غرقا)) اما مصدر منصوب على حذف الزوائد بمعنى اغراقا ، فهو ملاق لعامله فى المعنى كقمت وقوفا ، أو حال ـ أى ذوات اغراق .

---

(١) سورة الأعراف ـ بعض الآية (٤٣) وبعدها (... تجرى من تحتهم الأنهار) وسورة الحجر ـ بعض الآية (٤٧) وبعدها (... اخوانا على سرر متقابلين)
(٢) سورة آل عمران ـ الآية (٢٦) .
(٣) ملخصا من مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ومعانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٣٠ ، وتهذيب الصحاح للزنجانى ج ٢ ص ١٤٣ واللسان ج ١٠ ص ٢٧٧ .

يقال : أغرق فى الشىء : اذا بلغ أقصى غايته .[1] ويجوز أن يكون " غرقا " صفة للمفعول بـه لها . أى نفوسا غرقة فى الأجساد .[2] الا أن كونه مصدرا مؤكدا بحذف الزوائد ، يقتضيه المقام ، ويناسبه . ـ والله تعالى أعلم ـ .

(٢) (والناشطات نشطا) الواو للعطف ، والناشطات مفردها " ناشطة " وهى صيغة " اسم الفاعل " ، يقال : نشط الحبل ينشطه نشطا (من باب نصر) وأنشطه انشاطا : حله . يقال : نشطت العقد اذا عقدته بأنشوطة ـ وأنشط البعير حل أنشوطته ـ والانشوطة كأبهة عقدة يسهل حلها كعقد التكة . وأنشط العقال من أنشوطته فانحل . ومنه فى الحديث " كأنما أنشط من عقال "[3] .

قال الفراء : (والناشطات نشطا) انها (الملائكة) تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال من البعير[4] ، ونشط من المكان ينشط ، خرج ، وكذلك اذا قطع من بلد الى بلد . ومنه الناشط : الثور الوحشى الذى يخرج من أرض الى أرض ، أو من بلد الى بلد . ونشط الدلو من البئر (من باب نصر وضرب) نزعها ، وجذبها من البئر صعدا بغير قامة . ومنه " بئر أنشاط " وهى التى

---

(١) الصاوى على الجلالين ج ٤ ص ٢٤١ .
(٢) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٣ .
(٣) أنظر سنن أبى داوود ج ٤ ص ٢٢٤ كتاب الطب (١٩) رقم الحديث (٣٩٠٠) (من حديث أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه .
(٤) معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٣٠ .

يخرج منها الدلو بجذبة واحدة، فسمى هذا بالمصدر من حيث أن الدلو يخرج منه بجذبة واحدة .[1]

قال أبو اسحاق : (الناشطات) الملائكة تنشط الأرواح نشطا أى تنزعها نزعا كما ينزع الدلو من البئر ، وبه قال الزجاج .[2]

((نشطا)) منصوب على المصدرية ، وكذلك سبحا ، وسبقا .

(٣) (والسابحات سبحا) السابحات واحدها " سابحة " . وهى صيغة " اسم الفاعل " . واستعير لمر النجوم فى الفلك ، نحو قوله تعالى : (وكل فى فلك يسبحون)[3] ولجرى الفرس ، يقال : فرس سابح ، وسبوح ، اذا كان حسن مر اليدين فى الجرى . واستعير - أيضا - لسرعة الذهاب فى العمل ، نحو قول الله تبارك وتعالى : (ان لك فى النهار سبحا طويلا)[4] .

والتسبيح تنزيه الله تعالى ، وأصله المر السريع فى عبادة الله تعالى .[5]

(٤) (فالسابقات سبقا) السابقات جمع " سابقة " . وهى صيغة "اسم الفاعل " . وأصل السبق: التقدم فى السير ، والقدمة فى الجرى وأسبق القوم الى الأمر ، وتسابقوا أى بادروا . ويستعار السبق لاحراز الفضل ، والتبريز ، ومنه قوله تعالى : (والسابقون

---

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٢٣١ (بتصرف وتلخيص)
(٢) تهذيب اللغة ج ١١ ص ٣١٥ .
(٣) سورة يس - الآية (٤٠) وسورة الأنبياء - الآية (٣٣) الا أن هناك (كل فى فلك يسبحون) بدون " واو " العطف .
(٤) سورة المزمل - الآية (٧) . (٥) أنظر مفردات القرآن ص ٢٢١ .

السابقون)[1] أى المتقدمون الى ثواب الله ، وجنته ، للأعمال الصالحة وكذا قوله تعالى : (وهم لها سابقون)[2] ومنه له سابقة فى هذا الأمر أى سبق الناس اليه . وكذلك له سبق فى هذا الأمر ـ أى قدمة[3] .

(٥) (فالمدبرات أمرا) المدبرات جمع " المدبرة " ـ وهى " اسم الفاعل " من التدبير . والتدبير فى الأمر . أى التفكير فى دبر الأمور . ولهذا اختير هذا الوصف للملائكة ، لأنهم موكلون ، بتدبير الأمور .

((أمرا)) " مفعول " للمدبرات . وليس منصوبا على نزع الخافض أى بأمر منه تعالى ، كما قيل ، وزعم أنه الأولى . وقيل : " منصوب " على " الحالية " أى يدبرون مأمورات .[4]

والصواب هو الرأى الأول .

وأما تنكيره ، فهو للتهويل ، والتفخيم .

من قوله تعالى : (والنازعات) الى قوله سبحانه : (فالمدبرات أمرا) " صفة " لموصوف محذوف . تقديره الملائكة .

وانما جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث ، مع أن كلها وصف للملائكة والملائكة ليسوا اناثا . وذلك ، لأن المقسم به طوائف من الملائكة ، فكأنه قيل : " وطوائف الملائكة النازعات .... الخ " . والمعروف أن ـ الطوائف جمع " طائفة " وهى مؤنثة .

---

(١) سورة الواقعة ـ الآية (١٠) . (٢) سورة المؤمنون ـ الآية (٦١) .
(٣) المرجع السابق واللسان ج ١٢ ص ١٦ .
(٤) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٣ . و " املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى . (على هامش تفسير الجمل ج ٤ ص ٤٥٠) " .

وقد عطفت الصفات فى الآيات بالواو ، ثم بالفاء ، لكون الموصوف واحدا ، وانما جعل تغاير الصفة منزلة تغاير الذات ، فجاءت الواو التى تدل على المغايرة . أما الفاء فى قوله : (فالسابقات) وفى قولـــه : (فالمدبرات) فهى للدلالة على ترتيبهما على ما قبلهما بغير مهلة .(١)

ما المراد بهذه الصفات المذكورة فى الآيات السابقة ؟ .

اختلف المفسرون فى ذلك ، فمنهم من قال : ان المراد بها الملائكة ومنهم من قال : ان المراد بها النجوم ، ومنهم من قال : ان المـــراد غـــير ذلك .

ووجه الخلاف فى ذلك ، هو عدم ورود الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

١ ـ أما من قال: ان المراد بها " الملائكة " ففسر قوله تبارك وتعالى: (والنازعات غرقا) بأنها الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصى أبدانهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد ، آخذا بقول ابن مسعود (رضى الله عنهما) وهو : " تنزع الملائكة روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ، ومن تحت الأظافر ، وأصول القدمين ، ثم تغرقها فى جسده ، ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها فى جسده ، وهكذا مرارا ، فهذا عملها فى

(١) أنظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص٢٣ .

الكفـــــار .[1]

(والناشطات نشطا) هـى الملائكة تنشط نفس المؤمن ـ أى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير .

وانما خص النزع بنفس الكافر ، والنشط بنفس المؤمن ، لأن بينهما فرقا ، فالنزع بشدة ، والنشط جذب برفق[2] ، مستدلا بقـــول سعيد بن جبير ، ومسـروق : " ينشطونها " أى يخرجونهـا مـن الأجساد ، مـن نشط الدلـو مـن البئر اذا أخرجها "[3] .

(والسابحات سبحا) هـى الملائكة يسلون أرواح المؤمنين سـلا رفيقـا ، ثـم يتركونها حتى تستريح رويدا ، ثـم يستخرجونها برفـق ولطف ، كالذى يسبح فـى الماء ، فانـه يتحرك برفق لئلا يغرق ، فهـم يرفقون فى ذلك الاستخراج لئلا يصل الـى المؤمن ألـم ، وشـــدة[4] .

يقول سعيد بن جبير ، ومسـروق : " يسبحون فـى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج مـن البحر ما يخـرج "[5] .

(فالسابقات سبقا) هـى الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الـى الجنـة ، وبأرواح الكفرة الـى النـار[6] .

---

(١) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٣ وأبو السعود ج ٩ ص ٩٦ الا أنه أضاف الـى ذلك قولا آخر وهو : أنه " يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق " .
(٢) تفسير الخازن ج ٧ ص ٢٠٤ (٣) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٣
(٤) المرجع عينه والصفحة عينها . (٥) المرجع السابق
(٦) تفسير الخازن ج ٧ ص ٢٠٤ .

يقول سعيد بن جبير ، ومسروق : " فيسبقون ، ويسرعون ، بأرواح الكفرة الى النار ، وبأرواح المؤمنين الى الجنة "[1] .

(فالمدبرات أمرا) أى الملائكة تدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم ، أو دنياهم ، كما رسم لهم .

يقول سعيد بن جبير ، ومسروق : " فيدبرون أمر عقابها ، وثوابها ، بأن يهيؤوها لادراك ما أعد لها من الآلام ، واللذات "[2]

أما قول القشيرى : ان العلماء " أجمعوا على أن المراد هنا الملائكة "[3] ففيه نظر . وذلك ، لأننا اذا بحثنا القضية ، وجدناها مختلفا فيها . وقد قيل : فى معنى (المدبرات) أقوال كثيرة ، ولو كانت القضية كما قالها القشيرى : لما كان ثمة خلاف فى التحديد لمفهوم (المدبرات) . وأما ان قيل أنه أراد بقوله " ان للأكثر حكم الكل " على سنة المناطقة فكلامه مسلم ، ولكنه فى القضية كهذه لا يسلم ، لأن القضية قضية تحديد مفهوم الآية ، وتحقيقها .

(٢) وأما من قال بأن المراد بهذه الصفات " النجوم " ـ وهو " قتادة " فقال : فى قوله تعالى : (والنازعات غرقا) أى النجوم تنزع من أفق الى أفق ، آخذا من قولهم : "نزع اليه اذا ذهب " ، بمعنى أنها

---

(١) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٢٣ . (٢) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٢٣ .
(٣) أنظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٣٦٢ .

تغرب ، وتغيب ، وتطلع من أفق آخر . وبه قال أبو عبيدة ، والأخفش ، وابن كيسان[1] : (والناشطات نشطا) هي النجوم تنشط من أفق الى أفق أى تذهب . وهو قول قتادة ، وبه قال الحسن ، والأخفش.

(والسابحات سبحا) قال قتادة : هي النجوم تسبح في أفلاكها ، كما في قوله تعالى : (وكل في فلك يسبحون)[2] .

(فالسابقات سبقا) قال قتادة : هي النجوم يسبق بعضها في السير بعضا ، وبه قال الحسن ، ومجاهد[3].

(فالمدبرات أمرا) ذكر الماوردى : أنها الكواكب السبع ، وفي تدبيرها الأمر وجهان :

أحدهما : تدبر طلوعها ، وأفولها .

وثانيهما : تدبر ما قضاه الله فيها من الأحوال[4].

(٣) وهناك أقوال أخرى ، منها :

ان الله تعالى أقسم هنا بأنفس الغزاة ، أو أيديهم ، التي تنزع القسي باغراق السهام ، وينشطون بالسهم للرمي ، ويسبحون في البر ، والبحر ، فيسبقون الى حرب العدو ، فيدبرون أمرها .

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (تفسير الجزئين عم وتبارك) ص ٢١٥ .

(٢) سورة يس . بعض الآية (٤٠) وبدايتها (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ....)

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ص٢١٥ (٤) فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص٣٦٢

ومنها : أن الله تعالى أقسم بصفات خيلهم ، فانها تنزع فى أعنتها غرقا أى تمد أعنتها مدا قويا حتى تلصقها بالأعناق من غير ارتخاء فيفر كأنها انغمست فيها ، وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر ، وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو ، فتدبر أمر الظفر . واسناد التدبير اليها اسناد السبب .[1]

---

(١) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٤ .

" القول الراجح فـي تحديد المراد من هذه الصفات " :

بعد أن استعرضنا معا هذه الأقوال أستطيع أن أرجح القـــول الأول ـ وهو أن المراد بقوله تعالى : (والنازعات) الـــى قولـــه : (فالمدبرات) الملائكة الكرام الذين وكـل اليهم الله أعـمالا عظيمـة ، وجسيمة . اذ الصفات هذه قاطبة تنطبق على الملائكة ، وذلك للأسـباب الآتيـــة :

١ ـ أن هذا القول هو ما اختاره جمهور المفسرين الذين يعتد برأيهـم ويعول علـى كلامهم . وهذا يفهم مـن تقديمهم لهذا القول علـى غيره في الذكر مما يدل دلالة واضحة علـى اختيارهم لـه .

٢ ـ أن نزع الأرواح مـن الأجساد ـ وهو عمل الملائكة ـ يترتب عليـــه الموت ، والموت مقدمة للدار الآخرة . فاذا ما حملنا هذه الصفات علـى الملائكة كان ذلك أنسب للسياق ، والجو العام الذى تـدور حوله السورة الكريمة ، فان الجو كله جو القيامة والآخرة .

٣ ـ أن النجوم ، والسفن[1] انما عبّر القرآن عنهما بالجوارى ، قـــال الله تعالى : (فـلا أقسم بالخنس الجوار الكنس)[2] ، وقـــال سبحانه : (ومـن آياته الجوار فـى البحر كالأعلام)[3] ، ولـــــم

---

(١) قال عطاء بن أبى رباح : السابحات : هى السفن .
(تفســير ابن كثير ـ ج ٤ ص ٤٦٦)
(٢) سورة التكوير ـ الآيـــة (١٥) .
(٣) سورة الشورى ـ الآيـــة (٣٢) .

يسميها الله سبحانه وتعالى "سابحات" ـ فحمل الصفات عليهـا تكلف ، وتعسف .

أيـن المقسم عليه ؟ . فـى ذلك رأيـان :

الرأى الأول : أن المقسم عليه (أو جواب القسم) محذوف ، يـدل عليه ما بعده مـن أحوال القيامة ، وتقديره "لتبعثن ، ولتحاسبن" واليه ذهب الفراء [1] ، وجماعة [2] ـ كمـا قال العلامة ابن القـيم عـن هذا الجواب :

"جواب القسم محذوف يدل عليه السياق ، وهو البعـث المستلزم لصدق الرسول ، وثبوت القرآن . أو أنـه مـن القسـم الـذى أريد بـه التنبيه علـى الدلالة . والعبرة بالمقسم بـه دون أن يراد بـه مقسم عليه بعينه ، وهذا القسم يتضمن الجـواب (المقسم عليه) ـ وان لـم يذكر لفظا ـ ولعل هذا مـراد مـن قـال : "انـه محذوف للعلم بـه" ، لكن هذا الوجه ألطـف مسلكا ، فـان المقسم بـه اذا كان دالا علـى المقسـم عليـه مستلزما اسـتغنى عـن ذكره بذكـره" [3] .

والرأى الثانى : أن الجواب موجود ، وهو قوله تعالى : (ان فـى

(١) أنظر ص ٢٣١ من معانى القرآن للفـراء ج ٣ .
(٢) روح المعانـى ج ٣٠ ص ٢٤ .
(٣) التبيان فـى أقسام القرآن ص ١٠٢ .

ذلك لعبرة لمن يخشى) ، والمعنى: فيما اقتصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى عليه السلام وفرعون .

وقيل : جواب القسم (هل أتاك حديث موسى) ، لأنه في تقدير قد أتاك . وقال أبو حاتم : هو على التقديم ، والتأخير ، كأنه قال : فاذا هم بالساهرة ، والنازعات ، غير أن ابن الأنباري خطأه بأن الفاء لا يفتتح بها الكلام .

وقيل : التقدير " يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة " ، والنازعات على التقديم ، والتأخير أيضا [1] .

هذا ما ذكره المفسرون في جواب القسم من حيث وجوده ، وعدمه ، غير أنني أرجح القول الأول وهو أن المقسم عليه محذوف هنا - وذلك للأسباب الآتية :

(١) أن السياق يدل على أن المقسم عليه محذوف .

(٢) وأن المقسم عليه قدر بعد القسم مباشرة .

(٣) وأن المقسم به " اذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما له استغنى عن ذكره بذكره " .

(٤) وأن هناك تكلفا في الرأي الذي يقول : ان المقسم عليه قوله تعالى : (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) ؛ اذ أن

---

(١) أنظر البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢٠ .

الكلام قد طال بين القسم والمقسم عليه ـ كما قال ابن الأنبارى : " هذا قبيح ، لأن الكلام قد طال بينهما "[1].

وبعد هذه الدراسة التحليلية للآيات التى تتعلق بالقسم فى هذه السورة الكريمة ، أتناول الآن ربط الآيات التى جاءت بعد ذلك بما قبلها ، وهى قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة) ، فأقول : بعد ما أقسم الله تعالى على أن يوم القيامة ، لابد وأن يأتى ، وأنه يبعث من فى القبور ، وصف بعض أهوال ذلك اليوم ، وأحوال الناس فيه ، ولا سيما الكفار تتزعج فيه قلوبهم ، وتنكسر أبصارهم وترهقهم ذلة ، فقال جل ، وعلا : (يوم ترجف الراجفة) الى قوله : (وأبصارها خاشعة) .

(٦) (يوم ترجف الراجفة) وأصل الرجفة الحركة ، والاضطراب ، يقال : رجف الشئ يرجف رجفا ورجيفا (لازم ومتعد) خفق ، واضطرب اضطرابا شديدا ، والرجفة الزلزلة ، يقال : رجفت الأرض اذا تزلزلت ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : (يوم ترجف الأرض والجبال)[2] . ـ والرعد ، يرجف رجفا ، ورجيفا أى ترددت هدهدته فى السحاب ، ويقال رجف البحر اذا اضطرب موجه ، والرجاف اسم البحر ، سمى

---

(١) فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٣٦٢ وفتح البيان فى مقاصد القرآن ص ٢١٨ والمرجع السابق .

(٢) سورة المزمل ـ الآية (١٤) .

بسه لاضطرابه ، وتحرك أمواجه ، وفيه بيت مطرود بن كعب الخزاعي ، يرثي عبدالمطلب جد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

المطعمون اللحم (١) كل عشية * حتى تغيب الشمس في الرجاف

وقيل : الرجّاف ، يوم القيامة .(٢)

وأما اعراب الظرف في قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة) ففيه ثلاثة أقوال :

(١) انه منصوب بالجواب المضمر .

(٢) وقيل : " يوم ترجف " منصوب " بأذكر " ، فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم) .

(٣) وقيل : انه منصوب على الظرفية بما دل عليه قوله تعالى : (قلوب يومئذ واجفة) أي يوم ترجف وجفت القلوب يعني اضطربت .(٣)

(٢) (تتبعها الرادفة) ردف الرجل ، وأردفه ، ركب خلفه على الدابة

---

(١) وفي تاج العروس " الشحم " بدلا من اللحم ـ (تاج العروس ج ٦ ص ١١٣) .
(٢) ملخصا من اللسان ج ١١ ص ١١ وما بعدها (تاج العروس ج ٦ ص ١١٣، ١١٤)
(٣) أنظر روح المعاني ج ٣٠ ص ٢٦ . و " املاء ما من به الرحمن ووجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن " (على هامش تفسير الجمل ج ٤ ص ٤٥٠)

يقال : ردفت فلانا أى صرت لـه ردفا ، ومن هنا كل شىء تبـع شيئا فهو ردفه (أى تابعه) ، والفعل منـه ردفه أى تبعـه . يقال نزل بهم أمـر فردف لهـم آخر أعظم منـه [1] .

وجملـة (تتبعها الرادفة) حال مـن الراجفة .

وقيـل : انهـا مستأنفة . [2]

ما المراد بالراجفة ، والرادفة فى قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة تتبعهـا الرادفـة) ؟ .

المراد بالراجفة : النفخة الأولى يتزلزل ، ويتحرك لها كـل شىء ، ويموت منهـا جميع الخلق .

وأمـا الرادفـة : فالمراد بها النفخة الثانية التى ترد ف الأولـى .

قال قتادة : " هما الصيحتان ـ أى النفختان ـ أما الأولـى فتميت كـل شىء باذن الله تعالى ، وأما الثانيـة فتحيى كل شـىء باذن اللـه تعالـى " . [3]

وقيـل : الراجفـة : القيامة ، والرادفـة البعث .

---

(١) (انتهى بتصرف من) لسان العرب ج ١١ ص ١٤ ومختار الصحاح ص ٢٤٠ .
(٢) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٦ وأملاء ما من به الرحمن ... الـخ (على هامش الفتوحات الالهيـة ج ٤ ص ٤٥٠ ..
(٣) تفسـير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٨٦ .

وقيل : ان الراجفة الأرض ، والجبال . والرادفة : السماء ، والكواكب ، فانها تنشق ، وتنتثر بعد .

" وعن مجاهد : أما الأولى ، وهى قوله جل وعلا : (يوم ترجف الراجفة) فكقوله جلت عظمته : (يوم ترجف الأرض والجبال) [1] والثانية ، وهى الرادفة فهى كقوله : (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة [2] (٨ ، ٩) (قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة) وجف الشيء اذا اضطرب ووجف القلب خفق ، وقولهم : قلوب واجفة أى مضطربة كقولهم : طائرة ، وخافقة .

وأما خشع يخشع خشوعا فمعناه : رمى ببصره نحو الأرض ، وغضه ، وخفق صوته . ومنه قوله تعالى : (وخشعت الأصوات للرحمن) كما ورد فى حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم ، أقبل علينا فقال : " أيكم يحب أن يعرض الله عنه قال فخشعنا " [3] — أى خشينا وخضعنا .

" والخشوع قريب من الخضوع ، الا أن الخضوع فى البدن ، وهو الاقرار بالاستخذاء . والخشوع فى البدن ، والصوت والبصر " . [4] كقوله تعالى : " خاشعة أبصارهم " (فى سورة المعارج ٤٤ — والقلم ٤٣ —) وفى سورتنا هذه (أبصارها خاشعة) .

---

(١) سورة المزمل — بعض الآية (١٤) ونهايتها (.... وكانت الجبال كثيبا مهيلا) .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٦٦ — ٤٦٧ والآية (١٤) من سورة الحاقة .
(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٣٠٣ كتاب الزهد ، والرقائق . باب : حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر ورقمه ١٨ . ورقم الحديث (٣٠٠٨) ، و (٧٤) من كتاب الزهد ، والرقائق . (٤) لسان العرب ج ١١ ص ٢٦٨ .

وأما اعراب هاتين الآيتين فهو أن " قلوب " مبتدأ ، و"يومئذ" ظرف " لواجفة " ، و " واجفة " صفة لقلوب ، وهو المسوغ للابتداء بالنكرة . وأبصارها مبتدأ ثان ، وخاشعة خبره ، والجملة خبر الأول .

وما معنى واجفة في قوله سبحانه وتعالى : (قلوب يومئذ واجفة) ؟ .

المعنى : أنها خائفة ، قلقة ، مضطربة ، وقال المؤرج قلقة مستوفزة كما روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن واجفة بمعنى خائفة بلغة همدان . وعن السدى زائلة عن أماكنها نظيره (اذ القلوب لدى الحناجر)[1].

وأبصار من خاشعة في قوله تبارك وتعالى (أبصارها خاشعة) ؟ .

الجواب : أن أبصار أصحابها خاشعة ، فحذف المضاف ، والاضافة لأدنى ملابسة .

وأما المراد بهذه الآية الكريمة أن تظهر عليهم الذلة ، والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة كقوله تعالى : (خاشعين من الذل)[2] قال عطاء : يريد أبصار من مات على غير الاسلام . ويدل على هذا أن السياق في منكرى البعث[3]

والجدير بالذكر هنا أن الامام الألوسى ـ رحمه الله ـ قد أضاف

---

(١) سورة غافر ـ الآية (١٨) . (٢) سورة الشورى ـ الآية (٤٥) .
(٣) أنظر فتح القدير ج ٥ ص ٣٦٣ .

الى ذلك فقال : " وجوز أن يراد بالأبصار البصائر - أى صارت البصائر ذليلة لا تدرك شيئا ، فكنى بذلها عن عدم ادراكها ، لأن عز البصيرة انما هى بالادراك " . (١)

فان قيل : ان القلوب غير مدركة يوم القيامة ؟ .

أجيب : بأن المراد به شدة الذهول والحيرة .

---

(١) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٦ .

((المعنى الاجمالى))

لم يكن مشركوا مكة يعتقدون قط أن القيامة ستقع فى أى وقت من الأوقات ، بل كانوا يعتقدونها شيئا مستبعدا يستحيل وجوده ، فكانوا ينكرونها . واذا قيل لهم ، انكم تبعثون ، قالوا مستهزئين متعجبين (من يحيى العظام وهى رميم)[1] . ويسألون (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)[2] .

ولما كان اعتقادهم هذا راسخا فى أذهانهم ، وثابتا فى نفوسهم خاطبهم القرآن فى ذلك بطرق مختلفة ، وأساليب متعددة ، تارة فى صورة الانذار ، والتهديد ، وأخرى فى صورة البرهان والتأكيد . وأكد الله سبحانه وتعالى فى سورتنا هذه ـ أى " النازعات " ـ أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، وأن الحشر والحساب واقعان له لا محالة ، بحيث افتتح السورة مقسما بالملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار المعاندين من أقاصى أبدانهم بشدة ، وصعوبة ، وبالملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين الصالحين بليين ، ويسر ، فيسبحون فى اخراجها كالغواص الذى يخرج الشىء من أعماق البحر ، ثم يسبقون بأرواح الكفار الى النار بينما يبادرون بأرواح المؤمنين الى الجنة ، فيدبرون أمر الثواب والعقاب على حسب ما عمل الانسان فى الدنيا .

أقسم الله بذلك على أن البعث حق ، ويومئذ تخفق قلوب

---

(١) سورة يس ـ الآية (٧٨) . (٢) سورة الاسراء ـ الآية (٤٩) و(٩٨)

الكفار ، وتخشع الأبصار من شدة الخوف ، والرعب ، ومن هول القيامة ، ورهبتها ، كما أن وجوههم تسود ، وترهقهم ذلّة ، فهم يندمون ، ويتحسرون على ما فرطوا في جنب الله .

ولات ساعة مندم .

((ما يستنبط من الآيات))

(١) أهمية القسم ، وتأثيره فى نفوس الناس ، ومن ثم جاء القسم فى مستهل هذه السورة الكريمة ، وهو أسلوب من أساليب تأكيد الكلام فى لغة العرب .

(٢) وجوب الايمان بالغيب ، كالايمان بالملائكة الذين خلقهم الله من نور .

(٣) تحقيق عدل الله سبحانه وتعالى ، ووقوعه فى الدنيا ، وذلك يستنبط من موقف الملائكة من الانسان عند موته كافرا كان أو مسلما .

(٤) عظم يوم القيامة ، وأن الناس كلهم يحشرون فيه .

(٥) تصوير لسوء أحوال الكفار فى الآخرة ، وما لهم فيها من خزى وهوان .

المبحث الثاني

((المبحث الثانـــي))

انكـــار المشركين

للبعـــــث

والـــــرد عليهـــم

النـــص القرآنـــى

الـــذى

تـدور حولـــه الدراســـة

فـــى

المبحـــث الثانـــى

قـال الله تعالـى : (يقولون أئنا لمردودون فـى الحافرة • أءذا كنـا عظامـا نخـرة • قالـوا تلك اذا كـرة خاسرة • فانمـا هـى زجـرة واحـدة • فاذا هـم بالساهـرة •) •

((الآيات : من (١٠) الـى (١٤)))

تمهيـــد :

قبل أن نقوم بتفسير الآيات المتعلقة بانكار المشركين للبعث ، والرد عليهم ، فى هذه السورة الكريمة ، يجدر بنا أن نلقى نظرة عابرة على حكمة الله تعالى فى اقامة الدار الآخرة ، وتحديد يوم المعاد ، ونذكر بعض الأدلة على وقوع البعث .

أما عن الحكمة فى اقامة الدار الآخرة فنقول : ان الأحداث التى تحدث فى حياتنا ، قد تكون لها شأن ، والتى تؤدى الى التفكير فيها لنصل الى دواعيها ، ثم الى نتيجتها أو حلها .

اننا لا نرى جريمة ، أو نقرأ عنها ، ارتكبها شخص تقشعر منها الجلود ، وتشمأز منها النفوس ، وترتعد بها الفرائص ، حتى نجد أنفسنا جازمة على عقاب هذا الشخص الذى ارتكبها ، كما نجدها جازمة فى عدم اعفائه منها ، لأنه لو ترك سهلا ، دون عقاب أو ردع ظهر الفساد فى البر والبحر .

ومن البديهيات أن فطرة الناس أجمع ، لا تحتمل وجودا بلا عدالة ، ولا تقبل ضمائرهم أن يتعدى القوى على الضعيف تعديا سافرا دون أن يحاسب ، أو يعاقب .

ومن هنا عرفنا أن الناس الذين يظلمون أنفسهم ، أو يجورون على

غيرهم ، سيجتمعون فى يوم معلوم عند حاكم عدل ، يفصل بينهم بالقسط ، كما أنه من الضرورى أن تكون هذه الحكمة متفقة تماما مع الفطرة ؛ لأنها لو لم تكن كذلك ، لكان ايداع الفطرة السليمة فى الانسان ، وضع الشىء فى غير محله ، وأصبح الظالم أحسن من المقسط ، والمسىء أفضل من المحسن .

وقد نقل صاحب كتاب " فلسفة المبدأ والمعاد " قول افلاطون الذى اعترف بمفهوم تلك الحقيقة ، فقال : " لو لم يكن لنا معاد نرجو فيه الخير لكانت الدنيا فرصة الأشرار " .(١)

وخير دليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)(٢) .

فان من عاش طول حياته فى الكفر ، والطغيان ، مبتغيا فى الأرض فسادا من فجوره ، وعدوانه ، منغمسا فى الراحة ، والترف ، لا يشبع سوى شهوات النفس ، وملاذها ، ولا يزال يسعى للحصول عليها ، لن يكون من العدل أن يهمل ، أو لا يعاقب على ما اقترف .

كما أنه من الظلم أن لا يثاب ، ولا يكرم من عاش طيلة حياته فى طاعة الله ، ورسوله ، يتلقى شدائد الناس ، ويعانى عديدا من

---

(١) أنظر كتاب " فلسفة المبدأ والمعاد " لمحمد جواد مغنيه ص١١٦ .
(٢) سورة الحشر ـ الآيتان (١٩ ـ ٢٠) .

البلايا ، لا يبتغى الا وجه الله ، ولا يحب الا الدار الآخرة .

هذا الذى من أجله اقتضت حكمة الله الحكيم العادل أن يجعل دارا يجتمع فيها جميع الخلائق ، ويحدد يوما لا ملك فيه الا لله ، لكى يعطى كل ذى حق حقه ، الا أن الكفار يجحدون ، وينكرون هذا اليوم بشدة ، ويستهزئون وقوعه ، كما أنهم يسألون النبى صلى الله عليه وسلم استهزاءا ، وسخرية (من يحيى العظام وهى رميم) [1] ، و : (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) [2] .

ويزعمون أنه لا حياة الا الحياة الدنيا ، ولا دار الا الدار الدنيا ، ويلقون بكلمات تحيل وقوع البعث ، وامكانه ، فمرة يقولون : (أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) [3] ، وأخرى يقولون : (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا .) [4] .

فلما كان الأمر كذلك جاء القرآن يعالج عقيدتهم المزعومة الكاذبة ، ويلاحقهم فى ذلك بالانذار ، والتخويف ، والوعيد ، والتأكيد ، مصحوبا بالبراهين القاطعة ، والأدلة الواضحة .

---

(١) سورة يس ـ بعض الآية (٧٨) وبدايتها (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال .....) .

(٢) سورة يونس بعض الآية (٤٨) وبدايتها (ويقولون ....) وكذلك سورة الأنبياء (٣٨) ، وسورة النمل (٧١) ، وسورة سبأ (٢٩) ، وسورة يس (٤٨) ، وسورة الملك (٢٥) .

(٣) سورة ق ـ الآية (٣) (٤) سورة الاسراء ـ الآية (٤٩) و(٩٨)

الأدلة على وقوع البعث :

الأدلة على وقوع البعث نوعان :

(١) أدلة نقلية .

(٢) وأدلة عقلية .

أما الأدلة النقلية ، فهي القرآن ، والسنة . أما القرآن فان فيه آيات كثيرة تدل على امكانه ، ووقوعه . منها قوله تعالى : (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون)[1] ، وقوله تعالى : (قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)[2] ، وقوله تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون)[3] ، وقوله تعالى : (واستمع يوم ينادِ المناد من مكان قريب)[4] .

ومن الأدلة التي جاءت في السنة النبوية على اثبات حقيقة البعث ، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، ولقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث" ..... الى أن قال في آخر الحديث "ثم تلا النبي صلى الله

---

(١) سورة يس ـ الآية (٥١) . (٢) سورة الواقعة ـ الآية (٥٠) .
(٣) سورة النور ـ رقم (١١٥) . (٤) سورة ق ـ رقم (٤١) .

عليه وسلم (ان الله عنده علم الساعة) . ثم أدبر فقال ردوه ، فلم يروا شيئا . فقال : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ".(١)

وذكر العلامة ابن حجر – رحمه الله – الحكمة لاعادة لفظ " وتؤمن " فقال : وكأن الحكمة في اعادة لفظ " وتؤمن " عند ذكر البعث الاشارة الى أنه نوع آخر مما يؤمن به ، لأن البعث سيوجد بعد ، وما ذكر قبله موجود الآن ، وللتنويه بذكره لكثرة ما كان ينكره من الكفار ولهذا كثر تكراره في القرآن ".(٢)

الأدلة العقلية على وقوع البعث :

وهناك دلائل أخرى عقلية ، تؤكد أمر البعث ، وتدعو كل عاقل الى التدبر ، والتفكر فيه ، وهي ترجع الى أمور أربعة :

وهذه الأدلة العقلية الأربعة أشار اليها القرآن الكريم ، فهي أدلة عقلية من ناحية ، وأدلة نقلية من ناحية أخرى .

(١) قياس الاعادة على البدء :

وذلك في قوله تعالى : (كما بدأكم تعودون)(٣) ، وفي قوله :

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠ كتاب الايمان . باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام ، والاحسان ، وعلم الساعة ، وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له – ورقمه ٣٧ .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١ ص ١١٨ .
(٣) سورة الأعراف – الآية (٢٩) .

(يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا)[1] .

(٢) قياس البعث على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى : أنظروا الى قوله تعالى : (أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)[2] .

(٣) قياس الاحياء بعد الممات على احياء الأرض بعد موتها بالمطر ،والنبات :

ومنه قوله تعالى : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها)[3] .

(٤) قياس احياء العظام البالية المتفتتة على اخراج النار من الشجر الأخضر :

كما فى قوله تعالى : (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم

(١) سورة الحج ـ الآية (٥) .
(٢) سورة يس ـ الآية (٨١) .
(٣) سورة الروم ـ الآية (١٩) .

منـــه توقـــدون)[1] .

وقصارى القـول أن الذى بلغت قدرتـه شأوا لا حدود لـه ، والذى أوجـد الانسـان مـن العـدم قادر علـى اعادتـه بعـد فنـاء جسـده ، وتفـرق أجزائـه ، لأن مـن أوجـد مـن العـدم قـادر بالأولـى علـى الاعادة بعد الايجاد ـ اذ الاعادة للشىء أسهـل مـن بدئـه .

وكذلك مـن خلق السماوات ، والأرض ، ومـا فيهما مـن أنـواع الكائنات ، لقادر بطريق الأولى علـى اعادة خلق الانسان يـوم القيامـة ، وهكذا مـن يقدر علـى احياء الأرض الميتة الهامدة ، وانبات الأشجار فيهـا بانزال المطر عليها ، فكيف هو لا يقدر علـى احياء الانسان بعد المـوت واخراجـه مـن الأجـداث .

وكمـا أن الذى يقدر علـى توليد أحد الضـدين مـن الآخـر ، فكيف لا يقدر علـى اعادة الأجسـام الميتـة ، بـل يقدر ، ويبعث مـن فـى القبـور للجـزاء الموعـود .

---

(١) سورة يس ـ الآيات (٧٧ ـ ٨٠) .

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن تحدثت عن حكمة الله الحاكم العادل فى اقامة البعث ، والجزاء ، وأقمت على ذلك بعض الأدلة النقلية ، والعقلية ، أتوجه الآن الى بيان وجه مناسبة هذه الآيات لما قبلها ، فأقول :

لما أقسم الله تعالى بالملائكة على وقوع البعث ، والقيامة ، وذكر بعض أحوال ذلك اليوم العظيم ، وأحوال الكفرة المشركين فيه ، أتبع ذلك بالحديث عن هؤلاء المنكرين للبعث . وهذا الحديث يشتمل على حكاية انكارهم ، واستهزائهم ، فقال : (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة ... الآية) .

يقول الامام الجليل الشيخ أبو السعود ـ رحمه الله ـ بشأن ذلك " وقوله تعالى : (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله المنكرون للبعث ، المكذبون بالآيات الناطقة به ، اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى ، وذكر مقدماته الهائلة ، وما يعرض عند وقوعها للقلوب ، والأبصار . أى يقولون اذا قيل لهم ، انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة . أى فى الحالة الأولى يعنون الحياة . "(١)

---

(١) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

وذكر الامام الجليل الشيخ الألوسى ـ رحمه الله ـ قول الشيخ أبى السعود ثم قال : وقيل ، أنه تعالى شأنه لما أقسم على البعث وبين ذلهم ، وخوفهم ، ذكر هنا اقرارهم بالبعث ، وردهم الى الحياة بعد الموت .

فالاستفهام لاستغراب ما شاهدوه بعد الانكار . والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لما يقولون اذا ذاك . والظاهر ما تقدم وأن القول فى الدنيا . (١)

وهذا الوجه الثانى الذى ذكره الامام الألوسى فى مناسبة الآية لما قبلها مبنى على أن هذا الكلام سيصدر عن المنكرين للبعث يوم القيامة بخلاف القول الأول الذى ذكره الشيخ أبو السعود ، فانه حكاية لكلامهم الذى وقع منهم فى الدنيا . والتعبير بالمضارع هنا لاستحضار الصورة العجيبة لهذا القول الذى صدر منهم كأنها مشاهدة أمام السامع ، وللدلالة كذلك على استمرار الكفار فى هذا القول . وقد رأينا أن الامام الألوسى قد رجح القول الأول على غيره .

---

(١) تفسير الألوسى ـ ج ٣٠ ص ٢٧ .

الدراسة التحليلية

من حيث

اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة

(١) قوله تعالى : (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) .

أول ما نود الوقوف فى هذه الآية الكريمة عند لفظ " الحافرة " فنريد أن نفسرها من حيث اللغة ، وطريقة استعمالها فى كلام العرب ، فنقول : تحدثنا كتب المعاجم اللغوية أن الحافرة مؤنث " الحافر " وهو صيغة " اسم الفاعل " ، من حفر الشئ يحفره نقاه ، كما تحفر الأرض بالحديدة .

والحفر والحفير البئر الموسعة فوق قدرها ، والحُفَر ، بالتحريك : التراب المخرج من الشئ المحفور ، وجمعهما أحفار وأحافير .

أما استعمالها فى كلام العرب فهم يقولون : أتيت فلانا ثم رجعت على حافرتى أى رجعت من حيث جئت . ورجع على حافرته ، أى الطريق الذى جاء منه . والحافرة الخلقة الأولى ، وأنشد ابن الأعرابى :

أحافرة على صلع ، وشيب * معاذ الله من سفه ، وعار[1]

يقول أأرجع الى ما كنت عليه فى شبابى ، وأسرى الأول من

---

(١) لسان العرب ص ٢٨٢ ، وتفسير الكشاف ج ٤ ص ٢١٣ ، وروح المعانى ج ٣٠ ص ٢٧ وتفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٨٨ .
ذكر الطبرى رواية أخرى لهذا البيت فقال : (" معاذ الله من سفه وطيش ") تفسير ابن جرير ج ٣٠ ص ٣٣ .

الغزل ، والصبا بعد ما شبت ، وصلمت .

والحافرة : العودة فى الشىء حتى يرد آخره على أوله . وفى الحديث ان هذا الأمر لا يترك على حاله حتى يرد على حافرته أى على أول تأسيسه . ومن أمثال العرب . " النقد عند الحافرة " ، وقد شرح صاحب القاموس هذا المثل فقال : " وأصل هذا المثل أن الخيل أكرم ما كانت عندهم ، وكانوا لا يبيعونها نسيئة ، يقوله الرجل للرجل . أى لا يزول حافره حتى يأخذ ثمنه أو كانوا يقولونها عند السبق ، والرهان — أى أول ما يقع حافر الفرس على الحافر — أى المحفور فقد وجب النقد — ثم كثر حتى استعمل فى كل أولية (١) .

مما تقدم يتضح لنا أن "الحافرة " تتضمن معنى رجوع الشىء الى حالته الأولى . ومن ثم استعملت هذه الكلمة فى الآية الكريمة للعودة الى الحالة الأولى ، والخلقة الأولى .

يقول الفراء فى معناها " أئنا لمردودون الى أمرنا الأول أى الحياة " (٢) . وأما الراغب الأصفهانى فقال : " قوله عز وجل (أئنا لمردودون فى الحافرة) مثل لمن يرد من حيث جاء — أى أنحيا بعد أن نموت ؟ " . (٣)

---

(١) القاموس المحيط — ج ٢ ص١٢ (٢) معانى القرآن للفراء ج ٣ ص٢٣٢
(٣) مفردات القرآن للأصفهانى ص١٢٤ .

وذهب الامام القرطبى الى هذا الرأى ، كما ذكر بعض أقوال أخرى عن الحافرة . فيقول : ـ رحمه الله ـ : يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث ، اذا قيل لهم ، انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين : أنرد بعد موتنا الى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا قبل الموت ؟ وهو كقولهم : (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) .(١)

وقيل : الحافرة الحياة ، أى أئنا لمردودون الى الدنيا فنصير أحياء كما كنا ؟ قال الشاعر :

آليت لا أنساكم فاعلموا * حتى يرد الناس فى الحافرة

وقيل : الحافرة : الأرض التى تحفر فيها قبورهم ، كقوله تعالى : (ماء دافق)(٢) أى مدفوق . و : (عيشة راضية)(٣) أى مرضية . والمعنى أئنا لمردودون فى قبورنا أحياء . قاله مجاهد ، والخليل ، والفراء . وقوله فى الحافرة على هذا فى موضع الحال .

وسميت الأرض بالحافرة لأنها مستقر الحوافر . وقيل الحافرة جمع حافر بمعنى القدم . والمعنى أئنا لراجعون بعد الموت الى

---

(١) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٨٧ والآية (٤٩) و (٩٨) من سورة الاسراء .
(٢) سورة الطارق بعض الآية (٦) والآية بأكملها (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق) .
(٣) سورة الحاقة ـ الآية (٢١) وسورة القارعة ـ الآية (٧) .

الأرض فنمشي على أقدامنا . وقال ابن زيد : الحافرة : النـــار ، وقرأ قول الله تعالى : (تلك اذا كرة خاسرة) . وقيل : هي أول الأمـــر .(١)

ما اعراب قوله تعالى : (في الحافرة) ؟ . الجواب : يجوز تعلقه بمردودون أو بمحذوف على أنـه حال . كما سلف ذكره .

في ضوء ما سبق عرفنا أن جمهور المفسرين قد اختاروا أن معنى الحافرة هو : الحالة الأولى التي كان المشركون عليها قبـل الموت ، كما ذهبوا الى أن معنى الآية الكريمة أن كفار قريش يستبعدون ، بل ينكرون ويتعجبون من عودتهم مرة أخرى الـى الحيـاة بعد الممات .

فالاستفهام هنا يفيد معنى التعجب والانكار .

ومن المهم أن نشير الى قراءة توجد هنا غير " الحافرة " وهي " الحَفِرَة " . كما نوضح أن الجمهور قرأوا " بالحافرة " . وأما من ذهب الى قراءة الحَفِرَة ، وهم : أبو حيوة ، وأبو بحرية ، وابن أبي عبلة ، فقد قرأوا " في الحفرة ـ بفتح الحاء وكسر الفاء " ـ على أنه صفة مشبهة من حفر اللازم . يقال : (حفرت

---

(١) راجع نفس المصدر وتفسير الطبري ج ٣٠ ص ٣٤ وحاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٤٧٩ .

أسنانه حفرا) اذا أثر الآكال فى أسناخها [1] ، وتغيرت . ويرجع ذلك الى معنى المحفورة وقيل : هى الأرض المنتنة المتغيرة بأجساد موتاها .[2] وأضاف الامام الزمخشرى الى ذلك فقال : " وهذه القراءة (أى قراءة الحفرة) دليل على أن الحافرة فى أصل الكلمة بمعنى المحفورة " .[3]

(٢) وقوله تعالى : (أئذا كنا عظاما نخرة) ان هذا الكلام ـ أيضا ـ قد جرى على ألسنة الكفار المنكرين المستهزئين بالبعث ، كالسابق كما أنه يفيد تأكيد انكارهم للبعث ، ومزيد تعجبهم من عودة أخرى الى الحياة بعد أن بليت أجسامهم ، وغدت عظامهم رميمة متفتتة .

ونود الآن أن ندرس الآية الكريمة دراسة تحليلية فنقول : ان النخرة من حيث اللغة صفة من نخرت الشجرة أى بليت فهبت بها نخرة الريح أى هبهبا ، ويقال : نخر العظم فهو نخير اذا بلى ، ورم . وقال الفيروزآبادى : النخر ككتف . والناخر : البالى المتفتت . والنخرة من العظام البالية ، والناخرة المجوفة التى فيها ثقبة . وقيل : ناخرة أى فارغة يجىء منها هبوب الريح

---

(١) جاء فى المصباح المنير ـ السنخ من كل شىء أصله والجمع أسناخ مثل حمل وأحمال وأسناخ الثنايا ـ أصولها ـ انتهى .
(٢) روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٧ .
(٣) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٠٩ .

كالنخير . والنخير : صوت الأنف .(١)

ثم توجد فى قوله تعالى : (أئذا كنا) قراءة أخرى، وهى باسقاط همزة الاستفهام . وذهب الى هذه القراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائى ، فقرأوا (اذا كنا) بغير همزة الاستفهام. وأما الباقون من القراء فقرأوا بهمزة الاستفهام . والاستفهام هنا لتأكيد الانكار .

أما العامل فى " اذا " فمضمر يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاما بالية نرد ، ونبعث مع كونها أبعد شىء من الحياة(٢)

كما أن ثمة قراءة توجد فى قوله تعالى : (عظاما نخرة) وهى " ناخرة " بالألف . وممن قرأ هذه القراءة : أبو عمرو ، وابنه عبدالله ، وابن عباس ، والكسائى ، وغيرهم ، كما اختاره الفراء ، والطبرى ، وأبو معاذ النحوى ، لو فاق رؤوس الآى . فيقول الفراء مثلا بشأن ذلك ((و (ناخرة) أجود الوجهين فى القراءة ، لأن الآيات بالألف . ألا ترى أن (ناخرة) مع (الحافرة) و (الساهرة) أشبه بمجىء التنزيل " . ومضى قائلا " والناخرة ، والنخرة سواء فى المعنى بمنزلة الطامع والطمع والباخل والبخل . "(٣)) .

---

(١) ملخصا من المفردات ص٤٨٦ والقاموس ج ٢ ص ١٣٩ واللسان ج ٧ص٥١ .
(٢) أنظر فتح القدير ج ٥ ص٣٦٤ وكذلك روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٧ .
(٣) معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

وفرق قوم بينهما فقالوا : (النخرة) البالية ، و : (الناخرة) المجوفة التى تمر فيها الريح فتنخر أى تصوت .

وقال بعضهم : " الناخرة " التى أكلت أطرافها ، وبقيت أوساطها . والنخرة التى فسدت كلها . وقال مجاهد : نخرة أى مرفوتة كما قال تعالى : (عظاما ورفاتا) .[1]

أما القراءة التى قرأ بها الجمهور من أهل المدينة ، ومكة ، والشام ، والبصرة ، فهى بغير ألف ((" نخرة ")) والقراءتان صحيحتان ، غير أننى أميل الى قراءة الجمهور ، لأنها بصيغة : " فعل " . ومن المعروف أن " فعل " أبلغ من " الفاعل "[2] كما أن هذه القراءة تلائم مبالغة المشركين فى تعجبهم من عودتهم الى الحياة مرة أخرى بعد أن صارت عظامهم باليه متفتتة بحيث ان لفظة " نخرة " انما تؤدى هذا المعنى لا لفظة " ناخرة " ، لأن معنى ناخرة ـ كما سبق ـ المجوفة التى فيها ثقبة ، أو فارغة يجىء منها هبوب الريح .

فعلى هذا لفظة " نخرة " تحقق ما كان المنكرون للبعث يريدونه من الزيادة فى استبعاد الرجعة الى الحياة مرة

---

(١) أنظر تفسير البغوى (على هامش تفسير الخازن ج ٧ ص ٢٠٦ وتفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٨٩ والآية بأكملها (وقالوا ، أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) . (سورة الاسراء) (٤٩) و (٩٨) .

(٢) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٠٩ .

أخرى ، بعد أن رمت عظامهم ، وتفتتت تذروها الرياح حيث شاءت . كما أن صيغة " نخرة " أكثر دلالة على قدم عهد العظام من دلالة الناخرة عليه — هنا ، والله أعلم بأسرار كتابه .

(٣) (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) .

لما بيّن الله جل ثناؤه حكاية لقول المنكرين للبعث ، وتعجبهم من العودة الى الحياة بعد الموت ، والفناء ، وذكر تأكيدهم ذلك التعجب ، وزيادتهم في الاستبعاد بقولهم : (أئذا كنا عظاما نخرة) بين ههنا حكاية لكفر آخر متفرع عن كفرهم السابق بصيغة " قالوا " التي تشير الى قصد الاستهزاء منهم ، فقال تعالى : (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) .

ويؤيد هذا ما ذكره الشيخ أبو السعود بشأن ذلك ، حيث قال ان هذا " حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ، ولعل تبسيط " قالوا " بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ، ليس بطريق الاطراد ، والاستمرار ، مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة أوقاتهم ، حسبما ينبيء عنه حكايته بصيغة المضارع ، أي قالوا بطريق الاستهزاء ، مشيرين الى ما أنكروه من الردة في الحافرة ، مشعرين بغاية بعدها من الوقوع "(١)

---

(١) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٣١ وكذلك قال الامام الألوسي ج ٣٠ ص ٢٧ . وكلامه مستمد من كلام أبي السعود

وقال أبو حيان فى البحر المحيط : " روى أن بعض صناديد قريش قال ذلك . "(١)

وبعد ذلك نقف قليلا عند كلمة " خاسرة " فى قوله تعالى : (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) . فما معنى هذه الكلمة ؟ .

المعنى لهذه الكلمة أن " خاسرة " مؤنث " خاسر " وهو " اسم فاعل " من خسرت تجارته خسراء وخسرانا ، وخسارة . والخسر ، والخسران : انتقاص رأس المال ، وينسب ذلك الى الانسان فيقال : خسر فلان ، والى الفعل ، فيقال : خسرت تجارته .(٢)

ما المراد بقوله تعالى (كرة خاسرة) ؟ .

المراد أنها رجعة ذات خسران لما يقع على أصحابها من الخسران . والمعنى : أنهم قالوا ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت مما يقوله محمد (صلى الله عليه وسلم) وهذا استهزاء منهم .

وقال الحسن: خاسرة : كاذبة أى ليست بكائنة . وقال الربيع بن أنس: خاسرة على من كذب بها . كما قال قتادة ، ومحمد بن كعب : أى لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنحشرن بالنار .

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ج ٨ ص ٤٢١ .
(٢) مفردات القرآن ص ١٤٧ .

وانما قالوا هذا ، لأنهم أوعدوا بالنار . والكرة من الكر أى الرجوع وتجمع على كرات .(١)

وفى "الطبرى" أن ابن زيد قال : فى تفسير قوله تعالى : (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) "وأى كرة أخسر منها ، أحيوا ثم صاروا الى النار ، فكانت كرة سوء" .(٢)

وهذه الأقوال كلها متقاربة فى المعنى ما عدا قول الحسن ، فانه حمل معنى الخسران على الكذب . فمعنى "كرة خاسرة" عنده "كاذبة لا تكون أبدا" ، بحسب زعم الكفار .

ما المشار اليه بـ "تلك" فى هذه الآية ؟ .

المشار اليه فيها الرجعة أو الردّة الى الحافرة وهى مبتدأ ، وكرة خبرها وخاسرة صفة لكرة .

وأما السر فى التعبير هنا بـ "تلك" دون هذه - والله أعلم - فان "تلك" وهى اسم اشارة للشىء البعيد ، تؤدى قوّة اضافية لاستبعادهم الرجعة الى الحياة مرة أخرى وانكارهم للبعث واستهزائهم به وتعجبهم من العودة بعد الفناء والبلى . وهذا المعنى لا يستفاد من اسم الاشارة القريب .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٣٦٤ وفتح البيان فى مقاصد القرآن لصديق حسن خان ص ٢٢١ وكلامه مستمد من كلام الشيخ الشوكانى .
(٢) تفسير ابن جرير ج ٣٠ ص ٣٥ .

أما كلمة " اذا " فانها حرف شرط ، وجواب . كأنهم يقولون : اذا صحت تلك الرجعة فنحن خاسرون لتكذيبنا بها . ولفظة " خاسرة " في هذه الآية اما صفة لكرة أى ذات خسران . أو نقول ان هنا مجازا عقليا من اسناد الشيء الى غير ما هو له ، وهى كقوله تعالى : (فما ربحت تجارتهم)[1] لأن التجارة لم تربح بنفسها ، وانما يربح ، أو يخسر صاحبها ، وكذلك في الآية الكريمة " كرة خاسرة " لم تخسر الكرة بنفسها ، وانما يخسر صاحبها .

(٤ ــ ٥) قوله تعالى : (فانما هى زجرة واحدة . فاذا هم بالساهرة) .

لما سبق أن الله سبحانه وتعالى ذكر حكايتين لما يقوله المكرون للبعث ، وبين مبالغتهم في التعجب من العودة الى الحياة مرة أخرى ، واستهزاءهم بالبعث ، والحساب ، واستبعادهم كل ذلك ، رد الله سبحانه عليهم قائلا : (فانما هى زجرة واحدة . فاذا هم بالساهرة) . أى لا تحسبوا أن رجوعكم صعب على الله ، بل هو في غاية اليسر ، فانما هو يحصل بصيحة واحدة . فاذا أنتم أيها الجاحدون أحياء على ظهر الأرض بعد أن كنتم أمواتا في بطنها .

وقد أبو حيان مناسبة بين هاتين الآيتين الكريمتين والآيات التي قبلهما بقوله : " لما تقدم (يقولون أئنا لمردودون) تضمن قولهم استبعاد النشأة الثانية ، واستضعاف أمرها فجاء قوله (فانما)

---

(١) سورة البقرة ــ الآية (١٦) .

مراعاة لما دل عليه استبعادهم ، فكأنه قيل : ليس بصعب ما تقولونه ، فانما هى نفخة واحدة ، فاذاهم منشورون أحياء على وجه الأرض . "(١)

فقوله تعالى : (فانما هى زجرة واحدة) تعليل لمقدر يقتضيه السياق . والمعنى : لا تستصعبوا هذه الكرة ، فانما هى زجرة واحدة ، أى حاصلة بزجرة واحدة ، أى صيحة واحدة .

ما المراد بالضمير فى قوله تعالى : (فانما هى زجرة واحدة) ؟

هذا الضمير يعود على الرادفة فى قوله (تتبعها الرادفة) والرادفة هى النفخة الثانية ، التى يتبعها البعث .

لماذا سميت هذه النفخة بـ (زجرة) ؟ . سميت هذه النفخة بزجرة ، لأنه يفهم منها النهى عن التخلف ، والمنع منه ، حيث أن معنى الزجرة فى اللغة : المنع والنهى .

وما هو السر فى تعبيرها بالزجرة دون التعبير بالنهى ، مع أن الزجرة فى اللغة النهى ؟ . السر فى التعبير بالزجرة أنها أشد من النهى ، كما أنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أبدا . قوله تعالى : (فاذا هم بالساهرة) .

(١) البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢١ .

يحسن بنـا أن نوضح أولا فى هذه الآية الكريمة معنى (الساهرة) لغة ، ثم نبين ما قاله المفسرون فى ذلك ، فنقول :

الساهرة مؤنث "الساهر" وهو صيغة "اسم الفاعل" من سهر يسهر فهو ساهر : لم ينم ليلا .

قال الليث : السهر : امتناع النوم بالليل ، ورجل سهار العين لا يغلبه النوم ، وقالوا : ليل ساهر ، كما قالوا : ليل نائم . ويقال لعين الماء ساهرة اذا كانت جارية . وفى الحديث "خير المال عين ساهرة لعين نائمة" أى عين ماء تجرى ليلا ، ونهارا وصاحبها نائم ، فجعل دوام جريها سهرا لها .(١)

(فاذا هم) أى الخلائق أجمعون . (بالساهرة) أى على وجه الأرض بعد ما كانوا فى بطنها . قال الفراء "سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان : نومهم وسهرهم" .(٢)

وذكر الراغب الأصفهانى فيها قولين :

(١) الساهرة ـ هى وجه الأرض .

(٢) رر ـ هى أرض القيامة . وبعد ذلك قال وحقيقتها التى يكثر الوطء بها ، فكأنها سهرت بذلك اشارة الى قول الشاعر:

---

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(٢) معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٣٢ .

* تحرك يقظان التراب ونائمـــة *[1]

والعرب تسمى الفلاة ، ووجه الأرض ساهرة ، بمعنى ذات سهر . لأنه يسهر فيها خوفا منها ، فوصفها بصفة ما فيهـــا . واستدل ابن عباس رضى الله عنهما ، والمفسرون ، بقول أمية بن أبى الصلت :

وفيها لحم ساهرة ، وبحر * وما فاهوا[2] به لهم مقيم

وقيل: أرض من فضة لم يعص الله جل ثناؤه عليها قط يخلقها عز وجل حينئذ . وقيل : أرض جددها الله يوم القيامة كما قيـــل : ان الساهرة اسم الأرض السابعة يأتى بها الله تعالى ، فيحاسب عليها الخلائق . وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض ، وقال الثورى: الساهرة أرض الشام . وقيل : جبل الى جنب بيت المقدس . ـ وأيضا ـ قيل : انه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام وهو الصقع الذى بين جبل أريحاء وجبل حسان يمده الله كيف يشاء .

وعن قتادة : هى جهنم أى فاذا هؤلاء الكفار فى جهنم . وسبب تسميتها بالساهرة لأنه لا نوم لمن فيها .[3]

---

(١) المفـــردات ص ٢٤٥ .

(٢) فاه الرجل بكذا (من باب نصر) فوها : نطق به وفتح به فمـــه (أقرب الموارد ج ٢ ص ٩٥٢) .

(٣) أنظر تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩١ ، والبحر المحيط ج ٨ ص ٤٢١ ، وروح المعانـــى ج ٣٠ ص ٢٨ .

وقال الامام الزمخشرى : ان الساهرة الأرض البيضاء المستوية ، سميـــت بذلك :

(١) لأن السراب يجرى فيها من قولهم : عين ساهرة جارية الماء وفـى ضدها نائمـة ، قال الأشعث بن قيس :

وساهرة يضحى السراب مجللا * لأقطارها قد جبتها[1] مثلثا[2]

(٢) أو لأن سالكهـا لا ينام خوف الهلكة .[3]

بعد اســـتعراضنا لهذه الأقوال التى ذكرها العلماء فى معـــنى الساهرة أرى أن الراجح من هذه الأقوال ، وأقربها الى الصواب ، هـو القول الأول الذى فسر الساهرة بوجه الأرض . فمعنى قوله تعالى (فاذا هـــم بالساهرة) أى على وجـه الأرض بعد أن كانوا فى بطنهـــا .

أما الأقوال الأخرى التى تربط الساهرة بأرض الشام ، وغيرهـــا ، فانهـا فـى رأى أقوال بعيدة تشم منها رائحة الاسرائيليات .

واللـــه أعلـــم .

---

(١) جبت البلاد بضم الجيم وكسرها من باب قال وباع واجتبتهـــا : قطعتها . (مختـــار الصحاح ص ٢٢) .

(٢) لثمت المرأة وتلثمت . شدت اللثام على فمها . واللثام بالكسر : ما كان على الفم من النقاب أو ما يغطى به من ثوب (انتهى أقرب المـــــوارد ج ٢ ص ١١٢٩) .

(٣) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٠٩ .

((المعنى الاجمالى))

عجبا لهؤلاء الكفار الذين لا يصدقون دليلا من الأدلة عن البعث ، والجزاء ، مهما كانت قوته ، وتأثيره ، ولا يؤمنون بأى حديث من الأحاديث عن الثواب ، والعقاب ، مهما كانت حقيقته ، وصدقه .

فليس من دأبهم سوى الانكار ، والاستهزاء ، كما أنهم لم يكلفوا أنفسهم قط عناء التفكير فى أمر البعث وضرورة يوم الحساب ، والجزاء . وقد غطّى العناد عقولهم ، فلم يدركوا أن الحكمة تقتضى أن يكون للناس حياة أخرى يأخذ فيها المظلوم من الظالم حقه ، ويعاقب فيها المتجبّر المتعدى على الضعيف تعديا سافرا .

فلهذا اقتضت حكمة الله تعالى العادل فى قضائه ، والحكيم فى جزائه ، أن يحشر الناس جميعا عنده يوما ليجنوا فيه ثمار ما زرعوه فى الدنيا .

أما المشركون فقد جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، لكيلا يدركوا كنه حقيقة البعث الثابتة ، بل يقولون فى صورة الاستفهام الانكارى ، انهم لا يردون بعد الممات الى الحياة مرة أخرى كما كانوا من قبل . ويستبعدون أن ثمة قوة قادرة على احياء العظام بعد رمها وتفتتها ، وعلى اعادة الأجسام بعد فنائها ، وبلاها — وأيضا — قالوا تماديا

فـى الاستهزاء ، والانكار : ان افترضنا صحة وقوع البعث ، وعودتنـــا اليـه ، فان ذلك لا يعود علينا الا بالخسران الظاهر ، وليس مصيرنـا الا النـار . ثـم انهـم لا يلهثـون أن يسمعوا صيحة واحدة ، فاذا هـم فـى أرض القيامـة يجـدون أنفسهـم لمجـازاة ما اقترفـوه فـى الدنيـا .

((مايستنبط من الآيات))

---

(١) شدة عناد الكفار ، وجدالهم فيما يتعلق بقضية البعث .

(٢) بيان قدرة الله تعالى على البعث ، لأنه تعالى على كل شيء قدير .

المبحث الثالث

((المبحث الثالث))

حديث موسى (عليه السلام)

النص القرآنـــى

الـــــذى

تدور حـــوله الدراســـــة

فـــــــى

المبحـــث الثالـــــث

قال الله تعالى : (هل أتاك حديث موسى • اذ ناداه ربـه بالواد المقدس طوى • اذهب الـى فرعون انـه طغى • فقـل هـل لك الـى أن تزكـى • وأهديك الـى ربك فتخشى • فأراه الآيـة الكبرى • فكـذب وعصـى • ثـم أدبر يسعى • فحشر فنـادى • فقـال أنا ربكم الأعلـى • فأخذه الله نكال الآخرة والأولى • ان فـى ذلك لعبرة لمن يخشى •)

((الآيـات : من (١٥) الى (٢٦)))

تمهيـــد :

مـن الملائم هـهنا أن أذكر قصة موسى عليه السلام مـع فرعـــون ، موجزة ، كما جاءت فـى القرآن الكريم قبل بداية تفسير الآيات التى نحـن بصددهـــا .

تحدث القرآن الكريم كثيرا عـن موسى عليه السلام باعتباره رسولا أرسله الله الـى بنى اسرائيل ليدعوهم الـى توحيد الله عز وجل . والذى يتتبع القرآن الكريم يجد قصة موسى عليه السلام فـى عديد مـن الســور فـــى أساليب شتى مجملة ، ومفصلة .

ولقائل أن يقول : لماذا جاء الحديث عنه فـى سور متعددة ، ولم يكن الحديث كله عنه فـى سورة واحدة ؟ .

والجواب عن ذلك : أن كل سورة تحدثت عن موسى عليه السـلام فان الحديث فيها انمـا يكون عن لون معين ومشاهد خاصة . وسورة النازعـات وان كانت قـد تعرضت لقصة موسى عليه السلام بايجاز ـ الا أن الســور الأخرى قـد فصلت هذا الايجاز كسورة القصص ، والنمل ، وطه ، والشعراء ويونس ، والبقـــرة .

وقبـل أن أتكلم عـن قصة موسى عليه السلام فـى القرآن الكريم أقـدم سؤالا ـ وهـو : أن سورة النازعات كانت تتحدث عـن الملائكة ، وانكـار المشركين للبعث ، والـرد عليهم ، ثـم تتجه بعد ذلك اتجاهـــا آخر ، وذلك الاتجاه يتمثل فـى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم الســـــوق

بالاستفهام عن الحديث – عن موسى عليه السلام – فلقائل أن يقول : لماذا كان ذلك وما هي الحكمة فيه ؟ .

والجواب عن ذلك : أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وردت هنا لأجل اعطاء العبرة في هلاك فرعون بسبب طغيانه ، كما أن فيها تثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعدا بالفوز على الكافرين كما فاز نبي الله موسى (عليه السلام) من قبل على عدو الله فرعون – وأيضا – فيها وعيد ، وانذار وتهديد للمكذبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومتاوئيه الذين كذبوا بالبعث وتحدثت عنهم السورة فيما سبق من الآيات .

والآن ننظر الى حديث موسى عليه السلام ، فحينما نعرض لسورة القصص نرى نبأها ما أخبرنا الله تعالى بذلك ، في صيغة الخطاب الذي خاطب به محمدا صلى الله عليه وسلم لدعوة قومه مع نظره فيما قابل فرعون ، وقومه لعلهم يؤمنون به صلى الله عليه وسلم متعظين بما لاقاه فرعون ، وقومه من مصير سيئ . بالاضافة الى ذلك أن هذا النبأ قد ذكر فيه فرعون ، وموقفه من بني اسرائيل – وهو تذبيحه لبني اسرائيل واستحياء نساءهم . وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يمن على أولئك المستضعفين الذين عذبوا في الأرض ، فيجعلهم الله رؤساء ، وقادة ، ويمكن لهم في الأرض ، ويظهر لفرعون ، وهامان ما كانوا يحذرون منه .

وتطالعنا السورة بهذا الموقف العظيم من الله عز وجل ذلك أنه ألهم أم موسى عليه السلام ، بأن ترضعه أولا ، ثم اذا خافت عليه

ألقته فى اليم ، ويؤمنها الله عز وجل من الخوف والحزن ، بحيث أنه يرده اليها ، ثم يجعله رسولا . وبشاء الله عز وجل أن يلتقط آل فرعون موسى عليه السلام بعد ما ألقته أمه فى اليم ، ليكون لهم قرة عين ، ثم يصور الله عز وجل حالة أم موسى بأن قلبها كان فارغا على ابنها لولا أن ثبتها الله وألهمها الصواب . ويوفى الله سبحانه ، وتعالى وعده الذى ، وعده به أم موسى برد ابنها اليها ، وبعد أن رأت أخته أخبرت به أمها . ولحكمة أراد الله تحقيقها ليتم بها وعده ، حرم المراضع على موسى لترضعه أمه التى ولدته ، كما قالت أخته ناصحة أمينة (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون.)[1] ثم بلغ موسى أشده وآتاه الله حكما وعلما .

وفى وقت من الأوقات دخل موسى (عليه السلام) المدينة على حين غفلة من أهلها فرأى فيها رجلين يقتتلان أحدهما من القبط ، والآخر من بنى اسرائيل ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه . غير أن هذا العمل كان خطأ فى نظره ، لذلك لجأ الى الله تعالى مستغفرا ، فقد غفر الله له .

ويصف الله عز وجل موسى عليه السلام ، وكان بالمدينة خائفا ، فاذا برجل ناصح أمين يأتى اليه يخبره بأن القوم يأتمرون به ليقتلوه ـ

---

(١) سورة القصص ـ الآية (١٢) .

ثم طلب منه أن يخرج من هذا البلد ، فخرج منها خائفا يترقب ـ داعيا الله سبحانه وتعالى ـ أن ينجيه من القوم الظالمين .

وابتدأت رحلة موسى عليه السلام من المدينة وانتهت الى مدين التى توجه اليها آملا فى هداية الله سبحانه وتعالى الى الطريق المستقيم .

فلما نزل بمدينة مدين وورد ماءها وجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان .

وههنا تظهر شجاعة موسى عليه السلام والرحمة التى منحها الله أنبياءه ورسله ، فتظهر الرحمة فى قلب موسى ، وتبدو الشجاعة على لسانه فيقول : (ما خطبكما) مستفسرا . وتقدم الهنتان السبب فى عدم ورودهما الماء ، وهو الضعف بالنسبة لهما ، والقوة بالنسبة للأمة . فسقى لهما موسى عليه السلام ، ثم جلس تحت ظل الشجرة ، حيث دعا الله قائلا : (رب انى لما أنزلت الى من خير فقير)[1] وترجع الهنتان الى بيتهما ، وتقصان على أبيهما ما حدث ، وتعود احداهما بأمر أبيها الى موسى عليه السلام ماشية على استحياء لتقول له : (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)[2].

فيذهب موسى عليه السلام الى الرجل الصالح ، ويقص عليه أمره الذى كان عليه فى مصر ، وسبب هجرته منها ويؤمن الرجل الصالح موسى عليه السلام من الخوف ، ويقول له : (نجوت من القوم الظالمين) وتطلب احدى الهنتين من أبيها أن يكون موسى عليه السلام أجيرا عندهم ـ لأنه اتصف بصفتين أهلتاه لذلك وهما : القوة ، والأمانة ـ كما جاء فى القرآن الكريم

---

(١) سورة القصص ـ الآية (٢٤) . (٢) سورة القصص ـ الآية (٢٥) .

على لسان احدى الهنتين قوله تعالى : (قالت احداهما يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين)[1] ، فقبل الرجل الصالح ذلك ، وعرض على موسى عليه السلام الزواج باحدى بنتيه ، وقال له : (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين) وجعل المقابل لذلك أن يكون أجيرا عنده ثماني سنوات ، فان أتم العشر كان ذلك من فضله .

فلما قضى موسى الأجل ، وسار بأهله ، آنس من جانب الطور نارا ، فتوجه الى هذه النار ليجد عندها من يرشده الى الطريق ، أو ليأتي بجذوة منها ليوقد بها النار لأهله فيصطلي بها أهله .

وفي هذه الأثناء نادى الله عز وجل موسى عليه السلام ، فأمره بالذهاب الى فرعون ،وقومه للدعوة ،حيث شفعه بأخيه هارون ، وقد وهبه الله تعالى موسى عليه السلام من معجزات كالعصا ،واليد ،ليستأنس بهما قبل أن يذهب اليهم ، اذ أنه لما رأى العصا في المرة الأولى ينقلب ثعبانا ولى مدبرا فأمره الله سبحانه وتعالى أن يقبل ولا يخف فانه من الآمنين . وكان أمر الله تعالى أمرا صريحا بالذهاب الى فرعون خاصة للدعوة لما له من قوة ، وبطش ونفوذ على قومه ، وكانت بنو اسرائيل خاضعين له ـ أيضا ـ آنذاك .

وقد بينت سورة " طه " مع سورة " النازعات " هذا الأمر الصادر من الله عز وجل الى موسى عليه السلام ، ولكن يلاحظ في سورة " طه " أن الأمر كان موجها لموسى ، وهارون معا بصيغة المثنى حيث قال الله تعالى :

---

(١) سورة القصص ـ الآية (٢٦) .

(اذهبا الى فرعون انه طغى)[1] ، وأما سورة النازعات فأمر الله فيهما موسى عليه السلام وحده بالتوجه ، والذهاب الى فرعون ، فقال : (اذهب الى فرعون انه طغى)[2] ، فينشأ السؤال هنا لماذا جاء الأمر بأسلوب المثنى في موضع ، وبأسلوب الافراد في موضع آخر ؟ .

والجواب على ذلك : أن الخطاب الذي جاء على سبيل الافراد كان موجها الى موسى عليه السلام ، لأنه هو الأصل في أداء الرسالة ـ فلما طلب موسى عليه السلام أن يجعل الله تعالى أخاه هارون وزيرا له ، وجه الله الخطاب اليهما معا بصيغة المثنى ، وذلك ما جاء في سورة طه (اذهبا الى فرعون انه طغى) .

---

(١) سورة طه ـ الآية (٤٣) .

(٢) سورة النازعات ـ الآية (١٧) .

العظات المستفادة من الحديث عن
موسى عليه السلام
في القرآن الكريم

١ ـ ان الابتلاء الذى يصاب به الانسان فى الدنيا ، يجب أن يقابله بالرضا ، وقد يكون الخير العظيم فى هذا الابتلاء ، فقد خرج موسى خائفا من آل فرعون متهما نصيحة رجل ، جاء ، من أقصى المدينة ، حيث ينصحه بالابتعاد عن مصر ، لأن الملأ يأتمرون به ، فهاجر من مصر وكان خيرا له ، فوجد أهلا بأهل وجيرانا بجيران واصطفاه ربه على الناس برسالاته ، وبكلامه ، وجعله منقذا لقومه من فرعون وآله .

٢ ـ ان من يتوكل على الله ، ويثق به ثقة مطلقة ، يدافع عنه ، ويجعل له من الضيق مخرجا ، ومن العسر يسرا ، ويقيض له أسباب النجاة ، كما جعل الله تعالى لموسى عليه السلام الرجل ناصحا أمينا .

٣ ـ ان من يتمسك بالحق لا يبالى من يخالفه فى دعوته ولو كان عظيما .

فها هو فرعون يقول لموسى عليه السلام (انى لأظنك يا موسى مسحورا)[1] فلم يتأثر موسى عليه السلام ببطشه ، وعز سلطانه ، وأبهة ملكه ، فيقول : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السماوات والأرض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مثبورا)[2] ، فقد ألان موسى لفرعون الكلام ، وأحسن له

---

(١) سورة الاسراء ـ الآية (١٠١) . (٢) سورة الاسراء ـ الآية (١٠٢) .

القول ، ولكن فرعون لم يستجب لذلك ، وأخشن لـه القول .

٤ ـ ان الحق لا يعدم نصيرا ، فهذا موسى جاء يدعو فرعون الى عبـادة الله ، وينزله عن عرش الربوبية ، الذى ادعاه فرعون ، ولكن فرعـون هدد موسى بالقتل ، وأمر أتباعه بذلك ، ولكن قيض الله موسى مـن ينافح عنه أمام فرعون ، وقومه ، فكان مثلا ، ضربه الله عز وجل لكـل من يتمسك بالحق أمام الباطل ، وأتباعه . وذلك فى قوله تعالـى : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقـول ربى الله وقـد جاءكم بالبينات من ربكـم) .[1]

٥ ـ اذا تذوق القلب حلاوة الايمان ضحى فى سبيله بالنفس والنفيس ، واستعذب فى سبيله الآلام ، وهكذا آمـن السحرة بموسى ، والهه رب العالمين لأنهم رأوا بأعينهم ، بأن موسى عليه السلام على حق ، فآمنوا بـه لذلك ، غير مبالين بفرعون ، وما أعد لهم من عذاب .

٦ ـ الصبر على البلوى يعقبه الخير ، واليسر ، فى الأمور ، وهكذا أعقبه الله بنى اسرائيل الحسنى بما صبروا على تذبيح الأبناء ، واستحيـاء النساء ، وما كان من فرعون معهم ، فانطبق عليهم قوله تعالـى : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا)[2] .

٧ ـ لقد كان موسى حليما رؤوفا بقومه ، اذ عبد قومه العجل ، فغضـب الله عليهم لذلك ، وهددهم بالابادة ، فهاهم السبعون الذيـن

---

(١) سورة غافر ـ الآية (٢٨) . (٢) سورة الأعراف ـ الآية (١٣٧) .

اختارهم موسى عليه السلام لتقديم توبة الشعب ، فقد تمردوا على موسى عليه السلام ، حيث طلبوا منه أن يريهم الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة فلما أخذتهم الرجفة ، قال موسى : (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشـــاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .)[1] .

مناسبة الآيات لما قبلهـا :

بعد استعراض قصة موسى ، وفرعون ، وما يستفاد منها من العظـات ، والحكم ، أتعرض لبيان وجه المناسبة بين الآيات فى هذا المبحث ، وبـين ما قبلها من الآيـات ، فأقول :

لما بين الله سبحانه ، وتعالى ، مدى اصرار كفار مكة على انكار البعث وسخريتهم بالرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ، تعرض لقصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وقومه ، وانما ذكرت هذه القصة هنا لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية ، ولوعيد قومه من ناحية أخرى ، ليكونوا على علـم بما قد أصاب فرعون ، وقومه ، بسبب تكذيبهم لموسى عليه السلام ، وسخريتهم منـه ، فليس من المستبعد أن يلاقوا من الهلاك ، والدمار ، ما لاقـــاه فرعون ، وقومه ، لأنه سبحانه وتعالى ، لا يعجزه شىء فى الأرض ، ولا فى السمـاء .

---

(١) انتهى ملخصا من قصص الأنبياء ـ تأليف الشيخ المرحوم عبدالوهاب النجار ـ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، والآية (١٥٥) من سورة الأعراف .

وقد ذكر صاحب " البحر " وجه مناسبة هذه الآيات لما قبلها فقال : " ولما أنكروا البعث ، وتمردوا شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قص تعالى عليه قصة موسى عليه السلام ، وتمرد فرعون على الله عز وجل ، حتى ادعى الربوبية ، وما آل اليه حال موسى من النجاة ، وحال فرعون من الهلاك ، فكان ذلك سلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبشيرا بهلاك من يكذبه ، ونجاته هو من أذاهم ، فقال تعالى : (هل أتاك) توقيفا له على جمع النفس لما يلقيه اليه " .(١)

---

(١) البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢١ .

الدراسة التحليلية للآيات
من حيث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة

(١) قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى) .

" هل " حرف استفهام ، وهذا الاستفهام الذى ورد هنا فى قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى) يراد منه التقرير .

ويعجبنى فى هذا المقام ما ذكره العلامة أبو حيان ، فقد قال : (هل أتاك . تقرير لتجتمع نفس المخاطب ، كما تبدأ المرء اذا أردت أن تحدثه بعجيب ، فتقرره هل سمع ذلك أم لا ، فكأنك تقتضى أن يقول لا — ويستطعمك الحديث . وفيه تفخيم للحديث ، وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما عرفه بالوحى .)[1]

وقد ذكر الامام أبو السعود فى تفسيره وجهين للتقرير ، يمكن حمل الاستفهام هنا عليهما :

الوجه الأول : مبنى على أن حديث موسى عليه السلام الذى جاء فى هذه السورة كان أول شىء أتى الرسول عليه الصلاة والسلام من قصة موسى عليه السلام .

والوجه الثانى : مبنى على أن هذا الحديث قد سبق مجيئه الى الرسول صلى الله عليه وسلم فى غير هذه السورة . وفى ذلك يقول الامام أبو

---

(١) البحر المحيط ج ٨ ص ١٣٨ .

السعود : " معنى (هل أتاك) ان اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ، ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه ـ كأنه قيل : هل أتاك حديثه أنا أخبرك به .

وان اعتبر اتيانه قبل هذا ، وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص ، حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل : أليس قد أتاك حديثه . "(١)

ويرى بعض المفسرين أن هل هنا بمعنى " قد " ومن هؤلاء الامام القرطبى حيث يقول : " قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى . اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) أى قد جاءك ، وبلغك حديث موسى وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ـ أى ان فرعون كان أقوى من كفار عصرك ثم أخذناه ، وكذلك هؤلاء . "(٢)

غير أننى أرى أن القول الأول هو الراجح ، لأنه الذى يستقيم مع السياق ، ويؤيد ما ذهبت اليه هنا ما ذكره الامام الألوسى فى هذا الصدد ، فقد قال فى تفسير هذه الآية الكريمة : " وليس هل بمعنى (قد) على شىء من الوجهين . "(٣) ويريد بهما الوجهين اللذين ذكرتهما من قبل فى معنى التقرير .

والحديث هو ـ كما قال الراغب ـ كل كلام يبلغ الانسان من جهة

---

(١) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣١ . (٢) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩١ـ٦٩٩٢
(٣) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٦ .

السمع ، أو الوحى فى يقظته ، أو منامه .[١]

قال تعالى : (وإذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا)[٢] ، وقال : (هل أتاك حديث موسى)[٣] ، و : (هل أتاك حديث الغاشية)[٤]

وقوله سبحانه : (هل أتاك حديث موسى) جملة مستأنفة وردت لتسرية النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) وقوله تعالى : (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) .

(اذ) ظرف لما مضى من الزمان ـ يضاف الى الجملة الاسمية ، والفعلية دائما بخلاف " اذا " فانه ظرف لما يستقبل من الزمان ، ولا يضاف الا الى الجملة الفعلية .[٥]

ومن ناحية الاعراب هو ظرف زمان للحديث لا لفعل " أتاك " لوجود الاختلاف بين وقتيهما . فعلى هذا الوجه يكون المعنى : هل أتاك (يامحمد) خبر موسى حينما ناداه الله سبحانه وتعالى .

و (نادى) فعل ماض من النداء ، والنداء : هو رفع الصوت وظهوره . ويقال ذلك للمركب الذى يفهم منه المعنى . كما جاء فى الآية الكريمة (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) وقد يقال ذلك للصوت المجرد . واياه قصد بقوله تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق

---

(١) مفردات القرآن ص ١١٠ (٢) سورة التحريم ـ الآية (٣) .
(٣) سورة النازعات ـ الآية (١٥) (٤) سورة الغاشية ـ الآية (١) .
(٥) راجع شرح المفصل ج ٤ ص ٩٥ .

بما لا يسمع الا دعاء ونداء) أى لا يعرف الا الصوت المجرد دون المعنى الذى يقتضيه تركيب الكلام . (١)

أما الوادى فأصله الموضع الذى يسيل فيه الماء . ومنه سمى المفرج بين الجبلين واديا ، وجمعه أودية ، نحو : ناد وأندية .

والمقدس : مشتق من قدس يقدس تقديسا أى طهر يطهر تطهيرا . ومنه المقدس " اسم مفعول " من التقديس ، وهو المطهر . والمراد هنا بالتقديس التطهير المعنوى لما جرى فيه من الكلام بين الله ، وبين كليمه موسى عليه السلام .

وطوى : اسم الوادى الذى حصل فيه . وقيل : ان ذلك جعل اشارة الى حالة حصلت له على طريق الاجتباء ، فكأنه طوى عليه مسافة لو احتاج أن ينالها فى الاجتهاد لبعد عليه . ويرى البعض هو مصدر طويت ، بينما يرى الآخرون أنه اسم أرض .

وقال بعضهم : أنه جبل بالشام .(٢)

والمختار عندنا هو المعنى الأول . وهو : أن طوى اسم للوادى المقدس . وذلك :

١ ـ لأن صاحب " معجم البلدان " قال : " هو اسم أعجمى للوادى المذكور فى القرآن الكريم . (٣)

---

(١) راجع مفردات القرآن ص ٤٨٦ . (٢) المفردات ص ٣١٣ .
(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤ للشيخ شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت .

٢ ــ اتفق جمهرة المفسرين على أن طوى هو اسم للوادى المقـــدس ، وهو واقع بأسفل جبل طور سيناء من برّيّـة الشام .(١)

وأما اعراب كلمة " طوى " فانها عطف بيان من الوادى المقدس ، أو بـــدل منـــه .

يعـــد الكلام على كلمة " طوى " لغة ، واعرابا ينبغى لنـــا أن نشير الى القراءتين فى طوى . فقد قرأ بعضهم منونا (طمـــوى) ، والآخرون دون تنوين (طوى) . ومنهم من قرأ بكسر الطاء ، ومنهم مـــن ضمها ، ونونها . فمن ضم ، ونون جعله للوادى ، وجعله نكـــرة . ومن لم ينونه جعله من قبيل ما لا ينصرف لوجود ســـببين :

١ ــ العدل : فهو معدول عن طاو مثل عمر ، وزفر المعدول عن عامر ، وزافر فلا ينصرف كما لا ينصرف عمر ، وزفـــر .

٢ ــ لوجود الاسمية والمعرفة : أى أنه اسم للبقعة ، فأصبحت معرفة .

واذا كسر فنون ــ فهو طِوًى مثل مِعًى ، وطِلًى ــ ومن قرأ طـــوى بالكسر فعلى معنى المقدسة مرة بعد مرة . كما ينشد عدى بن زيـــد :

أعاذل أن اللوم فى غير كنهه * على طوى فى غيك المتردد

يعنى أنك تلومنى مرة بعد مرة ، فكأنك تطوى غيك على مرة بعد مرة .

وقرأ الكسائى ، وعاصم ، وحمزة ، (طُوًى) بضم الطاء والتنوين ، فى سورة " طـــه " وفى سورة "النازعـــات " .

---

(١) تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى ج ٣٠ ص ٢٦ .

وقرأتـه قراء المدينة ، والبصرة أجمع (طُوًى) بالضم بغير تنويـن ولـم يجروه ، الا الحسن وعكرمة ، فقـد قـرءا ذلك بكسر الطاء .[1]

(٣) قولـه تعالى : (اذهب الى فرعون انـه طغى) .

نود أن نتوقف أولا عند كلمة " طغى " فى هذه الآيـة الكريمـة ، لنتعرف معناها اللغوى .

يقال : طَغَى يَطْغُو طُغُوًّا ، وطُغْوانـاً وطَغِيَ يَطْغَى طَغْيـًا ، وطُغْيانـاً . بالضم والكسر : اذا جاوز القدر ، وارتفع ـ ومنه طغا السيل ـ أى ارتفع حتى جاوز الحد فى الكثرة . وكل شىء جاوز المقـدار والحد فـى العصيان فهو طاغ .[2] كمـا قال الله تعالى : (وان للطاغـين لشـر مآب)[3] وقال تعالى فى موضع آخر: (ان الانسان ليطغى) ، وكذلك يكون المراد فى آية " النازعات " : أن فرعون جاوز الحد فى الكفر والعصـــــيان .

ومن حيث الاعراب قوله تعالى : (اذهب الى فرعون) محمول لقـــول محذوف تقديره : وقال لـه ، أو قائلا لـه : اذهب الى فرعون .

وقيل : هو تفسير للنداء ـ أى ناداه اذهب . ويجوز أن يكون فى محل نصب على حذف " أن المصدرية " . كمـا يجوز أن يكون فى محل نصب بتقدير " أن المفسرة " . ويدل على القول الأخير قراءة عبداللـه

---

(١) انتهى بتصرف وتلخيص من معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤ ـ ٤٥ ولسـان العـرب ج ١٩ ص ٢٤٦ .

(٢) ملخصا من ترتيب القاموس المحيط ج ٣ ص ٨٠ والمصباح المنير ج ٢ ص ١٠ .

(٣) سورة ص ـ الآيـة (٥٥) .

ابن مسعود (رضى الله عنهما) الذى قرأه (أن اذهب) لأن فى النداء معنى القول.[1] وقوله تعالى: (انه طغى) تعليل لأمره سبحانه بالذهاب الى فرعون.

ولذلك قد ابتدأ الكلام بحرف التوكيد (ان) الذى يوحى بالاهتمام من ناحية، ويؤدى معنى التعليل من ناحية أخرى.

فعلى هذا يكون معنى الآية: "اذهب يا موسى الى فرعون، لأنه تجاوز الحد فى الكفر، والعناد، والعصيان، والفساد.

وقال الامام الرازى: "انه تعالى لم يبين أنه تعدى فى أى شىء فلهذا قال بعض المفسرين معناه: أنه تكبّر على الله، وكفر به، وقال آخرون: أنه طغى على بنى اسرائيل. والأولى عندى الجمع بين الأمرين فالمعنى: أنه طغى على الخالق بأن كفر به، وطغى على الخلق، بأن تكبّر عليهم، واستعبدهم. وكما أن كمال العبودية ليس الا صدق المعاملة مع الخالق، ومع الخلق، فكذا كمال الطغيان ليس الا الجمع بين سوء المعاملة مع الخالق، ومع الخلق".[2]

(٤) ثم أمر الله موسى عليه السلام، فقال عز من قائل: (فقل هل لك الى أن تزكى).

ننظر قبل كل شىء فى هذه الآية الكريمة الى استخدام أسلوب (هل لك).

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣١، وكذلك تفسير روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٩.
(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٨ ص ٣٤٦.

نرى أن العرب تقول : هل لك فى كذا ، أو هل لك الى كـذا ، حيث جرى هذا التركيب عندهم مجرى المثل لبنائه على الايجاز . وأمـا تعديته "بالى" أو "بفى" فيكون على تقدير هل لك ميل ، أو حاجة ، أو سبيل الى كذا . وهل لك رغبة فى كذا ، ويوجد فى هذا الأسلـوب ترغيب ، وعرض ، وتشويق ، وتلطف فى الطلب .

وقد تحدث "الشهاب" عن هذا الاسلوب فى قوله تعالى : (هل لك الى أن تزكى) فقال : "انـه دعوة فى صورة العرض ، والمشورة كقولـك للضيف: هل لك أن تنزل عندنا ." (١)

وقال الامام أبو السعود : "أمر عليه السلام بأن يخاطبه بالاستفهـام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ، ويستنزلـه بالمداراة من طرف ." (٢)

أمـا الاعراب ، فان "لك" فـى موضع الخبر لمبتدأ محذوف . تقديره هل لك ميل الى أن تتزكى ، أو هل لك رغبة فى أن تتزكى . (٣)

ونتوجه الآن الى قولـه تعالى : (تزكى) الذى أصله تتزكى لنبـين معناه اللغوى .

جاء فى لسان العرب: "الزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره بـه . وقد زكى المال يزكى تزكية" اذا أدى عـن مالـه زكاة ، وقولـه تعالـى :

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ج ٨ ص ٣١٥ .
(٢) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٢ .
(٣) راجع ذلك فى تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٢٩ .

(وتزكيهم بها)[1] قالوا تطهرهم بهـا .

وجاء فى المصباح المنير : زكا الرجل يزكو اذا صلح . وزكيته بالتثقيل نسبته الى الزكاء . وهو الصلاح . والرجل زكى . والجمع أزكياء .

قال الراغب الأصفهانى : وزكاء النفس . وطهارتها بصير الانسان بحيث يستحق فى الدنيا الأوصاف المحمودة . وفى الآخرة الأجر . والمثوبة . وهو : أن يتحرى الانسان ما فيه تطهيره . وذلك ينسب تارة الى العبد لكونه مكتسبا لذلك . نحو : (قد أفلح من زكاها)[2] . وتارة ينسب الى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك فى الحقيقة . نحو : (بل الله يزكى من يشاء)[3] . وتارة الى النبى لكونه واسطة فى وصول ذلك اليهم . نحو : (تطهرهم وتزكيهم بها)[4] ونحو : (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم .)[5] .

ثم استطرد الراغب الأصفهانى فقال : وتزكية الانسان نفسه ضربان :

أحدهما : بالفعل . وهو محمود . واليه قصد بقوله تعالى : (قد أفلح من زكاها . وقوله : (قد أفلح من تزكى)[6] .

والثانى : بالقول كتزكية المدل غيره . وذلك مذموم أن يفعل الانسان بنفسه . وقد نهى الله تعالى عنه فقال : (فلا تزكوا أنفسكم .)[7] .

ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الانسان نفسه عقلا . وشرعا . ولهذا

---

(١) سورة التوبة ـ الآية (١٠٣)
(٢) سورة الشمس ـ الآية (٩) .
(٣) سورة النساء ـ الآية (٤٩)
(٤) سورة التوبة ـ الآية (١٠٣) .
(٥) سورة البقرة ـ الآية (١٥١)
(٦) سورة الأعلى ـ الآية (١٤) .
(٧) سورة النجم ـ الآية (٣٢)

قيل لحكيم : " ما الذى لا يحسن وان كان حقا ؟ فقال : مدح الرجل نفسه "[1].

وقد ثبت مما تقدم آنفا أن التزكى معناه : التطهر . فعلى ذلك يكون معنى الآية : قل له يا موسى : هل لك رغبة فى أن تتطهر من الكفر والطغيان بأن تشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله .

وانما خص الله تعالى فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى عليه السلام شاملة لجميع قومه لأن فرعون كان ملكا لقومه ، فدعوته كانت دعوة لجميع قومه .

ومما هو قريب مما ذكرناه فى معنى (تزكى) ما ذكره ابن زيد ، فقد قال فى قوله تعالى : (هل لك الى أن تزكى) أى الى أن تسلم ، ثم قال : والتزكى فى القرآن كله : الاسلام ، وقرأ قول الله تعالى : (وذلك جزاء من تزكى)[2] قال : من أسلم ، وقرأ قوله تعالى : (وما يدريك لعله يزكى)[3] قال : يسلم كما قرأ : (وما عليك أن لا يزكى) أى ألا يسلم .[4]

ويجدر بنا الاشارة الى قراءة أخرى فى : (تزكى) ، وهى : (تزكى) بتشديد الزاى قرأها نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، بيد أن أبا عمرو قال : انه بمعنى تتصدق بالزكاة .

أما السياق فهو : لا يساعد على هذا المعنى ، لأن موسى عليه

---

(١) مفردات القرآن ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤
(٢) سورة طه ـ الآية (٧٦) (٣) سورة عبس ـ الآية (٣) .
(٤) راجع تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ٣٩ ، والآية (٧) من سورة عبس .

السلام لم يبعث الى فرعون لمطالبته بالصدقة . وانما أرسل اليه ليدعوه الى توحيد الله سبحانه وتعالى ، اذ أنه لا اعتبار لأى عمل من أعمال صالحة من صدقة ، وزكاة ، وغيرهما ، دون الايمان بالله تعالى .

وهذا يستحسن اختيار القراءة بتخفيف الزاى «كما أن "التخفيف في الزاى هو أفصح القراءتين في العربية ."(١)

(٥) (وأهديك الى ربك فتخشى) يقال: هداه الطريق واليه : عرّفه له وأزال حيرته فيما يسلك . تقول: هديت الحاج طريق مكة . ويقال: هداه الحق ونحوه «واليه اذا أرشده اليه ودلّه عليه بلطف «ودلالة من شأنها أن توصل الى البغية . تقول: هديته الى الرشاد فاهتدى وهديته الى الرشاد فما اهتدى . (٢)

ونسب هذا الهدى الى الأنبياء . كما نراه في قوله تعالى (وأهديك الى ربك فتخشى) والكتب السماوية وكذا الى الوعاظ ومن جرى مجرهم — وتكون نسبة الهداية الى الأنبياء والكتب السماوية على المجاز فانها أسباب لهذا الهدى اذا شاء الله المولى الكريم .

أما "الرب" فأصله التربية : وهي انشاء شيء حالا فحالا الى حد التمام . يقال: ربّه «وربّاه «وربّبه ، فالرب مصدر مستعار للفاعل .

ولا يقال الرب مطلقا الا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، قال

---

(١) المصدر السابق .
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٩٢٥ مادة (هـ د ى)

تعالى (بلدة طيبة ورب غفور)[١]

وبالاضافة يقال لله تعالى ، ولغيره : نحو : " رب العالمين " ، " ورب الدار " ، ويجمع على أرباب .

وكان من حقه أن لا يجمع اذ كان اطلاقه لا يتناول الا الله تعالى لكن أتى بلفظ الجمع فى قوله تعالى : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)[٢] على حسب اعتقاداتهم ، لا على ما عليه ذات الشيء فى نفسه .[٣]

و (تخشى) . الخشية تستعمل بمعنى الخوف ، ولا سيما اذا كان فيه تعظيم وعلم بما يخشى منه . ولذلك خص العلماء بها فى قوله تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) .[٤]

والخشية بمعنى الخوف فى الآية التى نحن بصددها . وهذه الخشية جعلت — كما قال أبو السعود — غاية للهداية ، لأنها ملاك الأمر . من خشى الله تعالى أتى منه كل خير . ومن آمن اجترأ كل شر .[٥]

وفى الكلام مقدر — كما ذكر كثير من المفسرين — والمعنى : وأرشدك الى معرفة ربك فتعرفه فتخشى . اذ الخشية لاتكون الا بعد معرفته .[٦]

(٦) وقوله تعالى : (فأراه الآية الكبرى) .

نحب أن نتساءل ههنا عن معنى كلمة " الآية " لغة ، ثم المراد بها

---

(١) سورة سبأ — الآية (١٥) . (٢) سورة يوسف — الآية (٣٩) .
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ج ٣ ص ٢٩ — ٣٠ .
(٤) سورة فاطر — الآية (٢٨) . (٥) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٢ .
(٦) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٢٩ .

فـى الآيـة الكريمة .

فالآية فى الأصل العلامة الواضحة . وهى متحققة فى كل ما تطلق عليه كلمة " آية " . فالكون آية ، لأنه علامة على خلق الله وقدرته ، ومعجـزات الأنبياء آية ، لأنها علامة على صدقهم من عند الله تعالى .[1]

والمراد " بالآية " هنا : المعجزة الدالة على صدق موسى عليه السـلام فـى دعوى النبوة ، والرسالة .

و " الفاء " عاطفة فى قوله تعالى : (فأراه) على محذوف تقديـره : فذهب ، فأرى . فهى فصيحة تفصح عن هذه الجملة ـ أى فذهب ، فقال له ماقال مما حكاه الله فى غير موضع ، وأجاب عليه بما أجاب الى أن قال : (ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين)[2] فعند ذلك أراه الآيـة الكبرى .

واختلف فى هذه المعجزة التى أراه موسى عليه السلام اياها ، فقيل : هى : قلب العصا حية ، وهو قول ابن عباس (رضى الله عنهما) . وقيل : يده البيضاء ، وقيل : هما جميعا ، وبه قال مجاهد ـ وأطلق عليهما الآيـة الكبرى لاتحادهما معنى ومقصدا . وقيل : هى جمع ما جاء به من الآيات .

وأرجح الأقوال فى ذلك هو : قلب العصا حية . وذلك لسببين : أولهما : أنه ليس فى اليد ، الا انقلاب لونها ، وهذا حاصل فـى

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٧٣ ـ ٧٤ .
(٢) سورة الأعراف ـ الآية (١٠٦) .

العصا ؛ لأنها لما انقلبت حية ، لا بد وأن يتغير اللون الأول . فاذا كل ما فى اليد ، فهو حاصل فى العصا ، وأمور آخر ، وهى الحياة فى الجرم الجمادى ، وتزايد أجزائه ، وحصول القدرة الكبرى ، والقوة الشديدة ، وابتلاعها أشياء كثيرة . ثم زوال الحياة ، والقدرة عنها وذهاب تلك الأجزاء التى عظمت ، وزوال ذلك اللون ، والشكل الذين صارت العصا بهما حية . وكل واحد من هذه الوجوه كان معجـــــزا مستقلا فى نفســـه .(١)

وثانيهما : أنها كانت المقدمة ، والأصل ، والأخرى كالتبع لهـا .

هذا ، ولا يجوز حملها على مجموع معجزاته عليه السلام ، لأنها قـد جاءت على مهل فى نحو من عشرين عاما بعد ما غلب موسى السحـرة ، ولـم يكن أول التبليغ ، سوى العصا ، واليـد .(٢)

ووصفت الآيـة بالكبرى تعظيما ، وتقديرا ، لقوة دلالتها ، وبلوغها فى تأييد رسالة موسى عليه السلام أقصى درجة .

ومن حيث الاعراب تقع كلمة " الآيـة " مفعولا ثانيا لقوله تعالى : (أرى) أما المفعول الأول ، فهو الضمير البارز الذى يعود على فرعون .

(٢) وقوله تعالى (تكذب وعصى) أى كذب فرعون بموسى عليه السلام ، والآيـة الكبرى ، وجعل ذلك من باب السحر ، وعصى الله تعالى بالتمرد بعد ما

---

(١) السراج المنير للخطيب الشربينى ج ٤ ص ٤٧٩ .
(٢) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٢ .

علم صحة الأمر ، ووجوب طاعة الله عز وجل .

(٨) وقوله تعالى:(ثم أدبر يسعى) أدبر ، يدبر ، ادبارا ، فهو مدبر : أذا أعرض ، وولى دبره . قال تعالى : (ثم أدبر واستكبر)[١] وقال سبحانه: (تدعو من أدبر وتولى)[٢] .

وسعى الرجل ، يسعى ، سعيا : اذا مشى[٣] سريعا دون الحدو أو سار مطلق سير ، أو عمل خيرا ، أو شرا . ومنه قوله تعالى : (أن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى)[٤] وفى قوله تعالى: (فاذا هى حية تسعى)[٥] بمعنى تمشى وتسير . وفى قوله تعالى : (ثم أدبر يسعى) بمعنى يعمل .

فعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة : ثم تولى ، وأعرض عن الايمان والطاعة ، عاملا بالفساد فى الأرض ، مجدا فى ابطال أمره عليه السلام ومعارضته ما جاء به من الآية الكبرى .

والسر فى الاتيان " بثم " أن ابطال الأمر ، ونقضه يحتاج الى وقت طويل ، فترك فرعون موسى عليه السلام مدة ، راجيا أن يكف عن الدعوة ، الا أنه لما رأى تصميمه أراد الاعلان بتكذيبه ، فأدبر يسعى .

ومن حديث الاعراب يقع قوله تعالى:(يسعى) حالا من الضمير المستتر فى قوله:(أدبر) .

---

(١) سورة المدثر ـ الآية (٢٣) . (٢) سورة المعارج ـ الآية (١٧) .
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم . ص ٥٦٨ .
(٤) سورة طه ـ الآية (١٥) . (٥) سورة طه ـ الآية (٢٠) .

وقال الشيخ الألوسى: " جوز أن يكون الادبار على حقيقته ، أى ثم انصرف عن المجلس ساعيا فى ابطال أمر موسى عليه السلام "(١).

وقال الرازى معنى (ثم أدبر يسعى) ثم أقبل يسعى، كما يقال أقبل يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل، لئلا يوصف بالاقبال اهـ(٢)

وقيل: أدبر هاربا من الثعبان فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر، فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه(٣).

غير أن هذا الرأى الأخير الذى يقول : ان فرعون قد فسر موسى من الحية ، فيه شئ من التكلف . اذ أننا نستبعد هذا التأويل ، لأن الرعب من رؤية الثعبان الذى انقلب عن عصا ستبعد فى بيئة يكون فيها السحر شائعا ، وتكون أفاعيل السحرة غير مستغربة . فليست رؤية العصا التى تنقلب حية تسعى مما يثير الرعب عند رجل مثل فرعون أو يدفعه الى الفرار مرعوبا .

ومما يؤيدنا فى ذلك أن القرآن الكريم نفسه يحكى لنا عن فرعون ، كيف أنه جمع السحرة من قومه . فألقوا حبالهم وعصيهم قبل موسى عليه

---

(١) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٠ بتصرف

(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٨ ص ٢٤٨ . (٣) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٢ .

السلام • ثـم ألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يصنعون • وصدق الله اذ يقول : (انما صنعوا كيد ساحر • ولا يفلح الساحر حيث أتى •)[1] •

ويمضى القرآن مصورا وقع هذه الآية ـ التى جاء بها موسى عليه السلام ـ على السحرة وعلى فرعون • فيقول : (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى)[2] هذا عن السحرة ـ أما فرعون فهنى على ما كان عليه من الكفر والطغيان • وعز عليه الاستسلام للهدى والعرفان • وأنكر تسليم السحرة وأنذرهم قائلا : (آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر • فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى)[3] •

ومما سبق تبين لنا أنه لا صحة للقول الذى يفيد أن فرعون أدبر مذعورا • وفر هاربا حينما انقلبت عصا موسى عليه السلام حية ـ بل انما كان سعيه كل السعى لأجل مكايدة نبى الله موسى عليه السلام وابطال دعوته • ودفع الخطر الذى يهدده •

(٩) ـ (١٠) (فحشر فنادى • فقال أنا ربكم الأعلى •) •

نتوقف هنا برهة لنبحث معنى كلمة (حشر) فى اللغة • فأقول : حشر الناس يحشرهم حشرا (من باب ضرب ونصر) اذا جمعهم • والمحشر بكسر الشين : موضع الحشر • والحاشر هو اسم الفاعل •

---

(١) سورة طه ـ الآية (٦٩) • (٢) سورة طه ـ الآية (٧٠) •
(٣) سورة طه ـ من الآية (٥٧) الى (٧١) •

ولا يقال الحشر الا فى الجماعة . وقال الله تعالى : (وابعث فى المدائن حاشرين)[1] ، وقوله تعالى : (والطير محشورة)[2] .

وكذلك جاء الحشر فى الآية الكريمة (فحشر فنادى) بمعنى الجمع أى فجمع السحرة لتحدى موسى عليه السلام ،واظهار ضعفه ، وكذبه ـ كما فى قوله تعالى : (وابعث فى المدائن حاشرين . يأتون بكل سحار عليم .) وجمع أهل المدينة ليشاهدوا ذلك فقال ،تعالى : (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ، لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين)[3]

وقول الله تعالى : (فنادى) يحتمل أن يكون فرعون نادى بنفسه فى مجمع من الناس ، وقال لهم : (أنا ربكم الأعلى) . ويحتمل أن يكون قد أمر مناديا ينادى بذلك فى الناس .

وعلى ذلك ففى الكلام ضرب من التجوّز على حد قولهم " بنى الأمير القصر "

وقد رجّح الامام الألوسى الاحتمال الأول ،فقال : وأيد الأول بقوله تعالى :(فقال أنا ربكم الأعلى) . وعلى الثانى فيه تقدير أى فقال :يقول فرعون أنا ربكم الأعلى مع مافى الثانى من التجوز .[4]

قال عطاء : كان صنع لهم أصناما صغارا ، وأمرهم بعبادتها ، فقال : " أنا رب أصنامكم " .

وقيل : أراد بضمير الخطاب القادة ،والسادة هو وهم ،وأولئك هم

---

(١) سورة الشعراء ـ الآية (٣٦) . (٢) سورة ص ـ الآية (١٩) .
(٣) ر ر ر (٤٠) . (٤) أنظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٠

أبهاب السفلـــة .[1]

(٤٤) ولما حدثنا الله تعالى عن فرعون أقوالا، وأفعالا اجملها بما عامله بـــه فقال : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولـى) .

ما هو النكال لغة وما اعرابـــه ؟ :

النكال اسم مصدر للتنكيل، كالسلام للتسليم . يقال : نكّل[2] بالمجـرم ينكل تنكيلا : عاقبه على جرمه عقوبة تردع غيره عن ارتكاب مثل ذلك الجرم وتكـــون عـبرة يعتبر بهـــا .

وأصل ذلك من النكول عن الشيء وهو الامتناع عنـه والجبن ، اذ كانت العقوبة تخوف الانسان من الاقدام على مثل الفعل المعاقب عليه . ومنـه قوله تعالى : (والله أشد بأسا وأشد تنكيلا)[3] وقول الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيـــز حكـــيم)[4]

أما اعراب النكال فهو منصوب ـ وفي نصبه خمســة أوجـه :

الوجه الأول : أنـه منصوب على المصدرية ، كأنـه قيل نكّل الله بـه نكال الآخرة والأولى بحيث انـه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله . وبـه قال الزمخشري[5].

الوجه الثاني : أنـه منصوب على أنه مفعول مطلق لأخذ بتقدير مضاف ،

---

(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٩٩٣ (٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٥٧١
(٣) سورة النساء ـ الآيـة (٨٤) . (٤) سورة المائدة ـ الآية (٣٨) .
(٥) تفســـير الكشاف ج ٣ ص ٣٧ .

أى أخذه الله تعالى أخذ نكال الآخرة والأولى .[١]

الوجه الثالث : أنه منصوب على أنه مفعول له ـ أى للنكال ـ والتقدير أخذه الله لأجل نكال الآخرة والأولى .[٢]

الوجه الرابع : أنه منصوب على نزع الخافض . أى أخذه بنكال الآخرة والأولى .

الوجه الخامس : أنه منصوب على الحالية فيكون فى تأويل المشتق ـ أى منكلا لمن رآه أو سمع به فى الآخرة والأولى .[٣]

ما المراد بالآخرة والأولى فى الآية الكريمة ؟ .

هناك عدة أقوال قالها المفسرون فى تأويل هاتين الكلمتين .

قال الحسن وابن زيد : نكال الآخرة بالحرق والأولى يعنى الدنيا بالغرق[٤]

وقال ابن عباس : الآخرة قوله تعالى : (ما علمت لكم من اله غيرى) والأولى قوله تعالى : (أنا ربكم الأعلى) . وكان بين الكلمتين أربعون سنة . فأخذه الله بكلمتيه كلتيهما فأغرقه فى اليم .[٥]

وقال أبو رزين : الأولى تكذيبه وعصيانه والآخرة قوله (أنا ربكم الأعلى) . ثم قرأ فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى) فهى الكلمة الآخرة .

---

(١) تفسير ابى السعود ج ٥ ص ٢٣٢ وروح المعانى ج ٣٠ ص ٣٠ .
(٢) المصدران نفسهما والصفحتان عينهما (٣) روح المعانى ج ٣٠ ص ٣٥ .
(٤) تفسير الطبرى ج ٣٠ ص (٤١ـ٤٢) (٥) نفس المصدر .

وعن مجاهد أنهما عبارتان عن أول معاصيه ، وآخرها ، أى نكل بالجميع.[1]

أما الأرجح عندى، الذى وصلت اليه بعد دراسة هذا الموضوع فهو تفسير الآخرة والأولى بالدارين الأخرى والدنيا . وذلك :

(١) لأن السياق يدل عليه أكثر من غيره .

(٢) كما أن تقديم الأخرى على الأولى فى هذه الآية الكريمة ، يجعلنا نميل الى هذا الرأى ، لأن الموضوع الذى يدور حوله السورة هو اليوم الآخر . فقدمت الأخرى على الأولى لأن نكالها أفدح وأدوم .

وقد أجاد الأستاذ سيد قطب فى هذا المقام فقال : (ويقدم هنا نكال الآخرة على نكال الأولى ..... لأنه أشد ، وأبقى . فهو النكال الحقيقى الذى يأخذ الطغاة ، والعصاة ، بشدته ، وبخلوده ، ولأنه الأنسب فى هذا السياق الذى يتحدث عن الآخرة ، ويجعلها موضوعه الرئيسى ..... ولأنه يتسق لفظيا مع الايقاع الموسيقى فى القافية بعد اتساقه معنويا مع الموضوع الرئيسى ، ومع الحقيقة الأصلية ـ ونكال الأولى كان عنيفا قاسيا ، فكيف بنكال الآخرة ، وهو أشد وأنكى ؟ .

وفرعون كان ذا قوة ، وسلطان ، ومجد موروث عريق ، فكيف بغيره من المكذبين ؟ وكيف بهؤلاء الذين يواجهون الدعوة من المشركين ؟)[2]

ومن كل ما سبق يترجح لدينا أن المراد بالآخرة الحياة الأخروية .

---

(١) نفس المصدر وروح المعانى ج ٣٠ ص ٣١ .

(٢) تفسير " فى ظلال القرآن " ج ٦ ص ٣٨١٥ ـ ٣٨١٦ .

وبالأولى الحياة الدنيا، فيكون معنى الآية الكريمة على هذا : عاقب الله تعالى فرعون حيث نكّل به فى الدنيا بالاغراق وفى الآخرة بالاحراق.

(١٢) وقوله تعالى (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) العبرة بالكسر الاسم من الاعتبار الذى هو الاتعاظ وبالفتح تحلب الدمع . وعبر الوادى بالكسر والفتح شاطئه من ناحيته وعبره يعبر عبرا وعبورا، اذا قطعه من عبره الى عبره . وعبر السهيل اذا شقها . ويقال عبر المتاع والدراهم أى نظركم وزنها، وما هى، كما يقال عبر الكتاب عبرا اذا تدبّره ولم يرفع صوته بقراءته.(١)

ويلاحظ فى استعمال العبرة بمعنى الاعتبار أن العاقل يرى مثلا أمامه فيزنه، ويتفكر فيه، ويتعظ به. فما هو المثل هنا ؟ . الجواب أن المثل فى هذا المكان فرعون الطاغية الذى تجبر وتكبر (وكذب وعصى ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) .

الام يشير (ذلك) فى قوله تعالى (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) ؟ .

هو يشير الى المذكور والمراد به كل ما سبق بيانه من تكذيب فرعون وعصيانه وفعله وقوله ثم أخذ الله له أخذ عزيز مقتدر.

والمراد بقوله تعالى (لمن يخشى) أى لمن كان شأنه الخشية وهم المؤمنون، وخصهم الله تعالى بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلك .

---

(١) انظر مختار الصحاح ص ١٧٥، وكذلك القاموس المحيط ج ٢ ص ٨٥ .

((المعنى الاجمالى))

أراد الله تبارك وتعالى ، بذكر قصة ارسال موسى عليه السلام الى فرعون ، وهلاك فرعون بسبب طغيانه أن يهون على رسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم احتمال ما لقيه من أذى قومه ، وتكذيبهم ايـاه ، وسخريتهم بما يحدثهم به من يوم القيامة ، وأحوالها ، فقال : هل أتاك يا محمد (نبأ الحديث الذى تلقاه موسى من ربه سبحانه اذ ناداه بالواد المطهر (طوى) ، وأمره بالذهاب الى فرعون الذى قد تجاوز الحد عتوا ، وكفرانا ، كما أمره عليه السلام بأن يخاطبه بأسلوب رشيق رقيق ، فيقول له هل لك من رغبة فى تزكية النفس بأن تتطهر من الكفر ، والطغيان ، وتؤمن بالله رب العالمين ، وهل لك ميل الى أن أنير لك الطريق الى معرفة ربك ، وتوحيده فتخاف عذابه .

وقد حقق موسى عليه السلام ما أمره به ، وأظهر لفرعون الطاغية المعجزة العظمى فى صورة تحول العصا الى حية تسعى . وهذه المعجزة دالة على أنه نبىّ الله حقا أرسله الله لدعوة فرعون إلى الايمان ، ولكن فرعون كذب موسى عليه السلام ، وعده ساحرا كما عد الآية سحرا ، وعصى الله حيث تمرد ، وتجبّر ، ثم تمادى فى طغيانه معرضا عن موسى ، ساعيا الى ابطال دعوته ، والحيلولة دون تصديق الناس برسالته عليه السلام ، فحشر السحرة ، وأرهب دولته ، كما دعا أهل المدينة فأعلن

أنه يقـــول قائلا : أنـــا ربكـم الأعلـى .

فعذبـه الله تعالى فى الدنيـا عذابا ، حيث أغرقـه ، هـــو وقومه فى اليم ، ثم يعذبـه فى الآخرة بجعلـه وقودا للنار .

وفـى ذلك عظة ، وعبرة ، لمن فكر ، وتدبر ، واعتبر بما حـــدث للأمـم الماضيـة الكافرة برسلهم صلوات الله ، وسلامه عليهم . وهـؤلاء الذين يتعظون ، ويعتبرون ، بمـا حدث للأمـم قبلهـــم هـم الذيـــن استقرت خشـــية الله فـى قلوبهـــم .

((ما يستنبط من الآيات))

١ ـ صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوى النبوة ، حيث أخبرنا بقصة موسى عليه السلام ، وهو أمى لا يعرف القراءة ، والكتابة ، ولم يجالس العلماء . فاخباره بهذه القصة ، وهى غيب أعظم شاهد على نبوته .

٢ ـ تسلية النبى صلى الله عليه وسلم ، والتسرية عنه ، وذلك بتقديم درس من حياة موسى عليه السلام حيث لاقى من قومه ما لاقى .

٣ ـ وجود قدر مشترك بين الأمم فى التكذيب ، والاعراض ووجود قدر مشترك بين الأنبياء ، والرسل فى الصبر ، والتحمل .

٤ ـ عناية الله سبحانه وتعالى ببعض الأمكنة ، وتفضيلها على بعض .

٥ ـ بيان ما كان عليه فرعون من الشدة ، والتكذيب ، والاعراض .

٦ ـ بيان منهج الدعوة ، وما يجب أن يكون عليه الداعية من لين فى القول ، وحسن فى الموعظة ، وحرص على تبصير المدعوين ، ورجاء لايمانهم واستجابتهم .

٧ ـ تأييد الله لأنبيائه بالمعجزات ، وأنها آيات صدق على دعواهم .

٨ ـ ان رد فرعون على هذه المعجزات ، رد غير كريم ، اذ كذب موسى عليه السلام فى رسالته ، وأنكر الآيات التى أظهرها الله

طـى يديـه ، وادعى الألوهية تمردا على الله تعالى .

٩ ـ تأييـد الله تعالـى لنبيـه موسى عليه السلام ، وانتقامه من أعدائه.

١٠ ـ هلاك فرعون باغراقـه فـى البحـر ، درس عظـيم ، وعـبرة كـبرى ، لمـن يخشى اللـه تعالى علـى مـر العصـور .

المبحث الرابع

((المبحث الرابع))

((بعض

مظاهر القدرة الالهية))

النص القرآنـــــى

الـذى

تدور حولـــــه الدراســـة

فى

المبحث الرابـــع

قال الله تعالى : (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها • رفع سمكهـــا فســـواها • وأغطش ليلها وأخرج ضحاها • والأرض بعد ذلك دحاها • أخرج منها ماءها ومرعاها • والجبال أرساها • متـاعا لكـم ولأنعامكـم •) •

((الآيات من (٢٧) الـى (٣٣)))

تمهيـــد :

ويتضمن الحديث بايجاز عن بعض مظاهر القدرة الالهيـة .

ان مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى تتجلى في أمور كثيرة . منها ماهو محض مشاهد ، ومنها ماهو خفي غير مدرك ، لا يعلمه الانسان لقصور عقلـه وعلمـــه .

ومن المشاهد ما جعله الله عز وجل مصدرا للرحمة ، وهي : السماوات التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، ورفعها بغير عمـد . وهي تظل الانسان وتخلو تماما من الخلل والاضطراب ، كما قال الله تعالى : (الذي خلق سبع سماوات طباقا . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطـور . ثم ارجع البصر كرتـين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير .)[1] .

ولقد مضى عليها منذ أن خلقها الله تعالى آلاف السنين ، وهي كما هي قوة واحكاما وهذا يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى البالغة الـــتي لا يعجزها شيء ، ولا يقف أمامها أمر .

استمع معي قول الله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)[2] حيث يشرح لنا مدى قدرته العظيمة . ولقد جعلها الله تعالى محكمة مشيـدة ، وأمسكها بقدرته تعالى حفاظا على البشرية حيث قال : (ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده . انه كـان

---

(١) سورة الملك ـ الآية (٣ـ٤) . (٢) سورة الذاريات ـ الآية (٤٧) .

حليما غفورا)[1] ، وقال تعالى : (ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه . ان الله بالناس لرؤوف رحيم)[2]

ومن رحمة الله تعالى لعباده كذلك أنه جعل لهم نجوما لتكون زينة للسماء تتلألأ ، وتضيء ، فتقضي على ظلام قاتم ليسير الخلق في ضوئها ويهتدوا بها .

ولقد نبّه الله العرب الذين كانوا يعيشون في الصحراء الى قيمة تلك النعمة التي تنير لهم طريقهم بقوله : (وبالنجم هم يهتدون)[3] .

وأيضا من مظاهر قدرة الله تعالى الشمس ، والقمر . فالأولى تشرق وتغرب في نظام واحكام ، وتمد مصباحا مضيئا للخليقة ، وحرارتها تعين الكائنات كالنباتات ، وهي تجري في فلك وتسبح فيه بنظام دقيق . يقول الله عز وجل : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)[4] .

وأن التاريخ البشري أو بتعبير أدق أن قصص العرب ، وأحوالهم تبيّن مدى قيمة القمر بالنسبة لهم ، وأثره في حياتهم ، فقد كانوا يحتاجون اليه في كثير من أمورهم ، ويستخدمونه في البدو والحضر ، ويستعينون به في التوقيت ، كما أنهم يستفيدون به في اقامة الشعائر الدينية ، وتحديد الشهور لكي ينظموا حياتهم بين عمل ، وعمل .

---

(١) سورة فاطر ـ الآية (٤١)
(٢) سورة الحج ـ آخر الآية (٦٥) ، وبدايتها (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره .....) .
(٣) سورة النحل ـ الآية (١٦) (٤) سورة يس ـ الآية (٤٠) .

ولما جاء الاسلام ربط القيام ببعض العبادات مثل الحج ، والصوم والزكاة بطلوع القمر ـ فجعل القمر أساسا للقيام بهذه العبادات .

فالحج مثلا : بيّن الاسلام ميقاته الزمانى بطلوع القمر فى أشهر معينة قال تعالى : (الحج أشهر معلومات)[1] ، وأيضا الصوم ، فان المسلمين لا يصومون الا برؤية الهلال كما جاء فى كتاب الله ، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم . فقال تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه .)[2] .

وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فان غبّى[3] عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين .)[4] . وفى مسلم (اذا رأيتم الهلال فصوموا ، واذا رأيتموه فأفطروا . فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما)[5] .

كما أن من مظاهر القدرة الالهية هذه الأرض التى خلقها الله عز وجل ، وذللها للانسان لتكون له مستقرا ، ومستودعا ، ولكى يمشى الانسان فى مناكبها ، ويأكل من رزق الله فيها . ولقد مدها الله سبحانه وتعالى ، وجعل فيها رواسى ، وأنهارا . وتعد الأرض دليلا من الأدلة القوية على اثبات عظمة قدرة الله عز وجل .

---

(١) سورة البقرة ـ الآية (١٩٧) . (٢) سورة البقرة ـ الآية (١٨٥) .
(٣) غبّى : مأخوذ من الغباوة ، وهى عدم الفطنة ، وهى استعارة لخفاء الهلال . فهى بمعنى غمّ ـ (فتح البارى ج ٤ ص ١٢٤) .
(٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ٣٥ ـ كتاب الصيام باب (٩) رقم الحديث (١٩٩) (فتح البارى ج ٤ ص ١١٩) .
(٥) صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٦٢ كتاب الصيام باب (٣) رقم الحديث (١٠٨١)

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى المشركين بأن ينظروا ، ويعتبروا فيما خلقه الله عز وجل . ومنه الأرض ـ قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج)[1] .

وقال سبحانه : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت .)[2] .

والذى يتأمل فى هذه المخلوقات ، ومن بينها السماوات ، والأرض تتضح له حقيقة أساسية ، وهى : أن لهذا الكون الهائل خالقا عظيما ، ومدبرا حكيما ، وإلها قديرا . وهو الله جل جلاله ، وتقدست أسماؤه .

كذلك من دلائل القدرة الالهية ما نشاهده من الجبال التى خلقها الله تعالى حفاظا للأرض كيلا تميد بالانسان ، كما قال سبحانه وتعالى ممتنا على الانسان بذلك : (ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا)[3] . فهذه الأوتاد انما تمسك بالأرض كيلا تضطرب بالانسان .

ومن الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل الليل ، والنهار ، فهذا الليل المظلم يعقبه النهار المضىء ، وهذا النهار المضىء يعقبه الليل المظلم .

وكل ذلك يتم بدقة واحكام . وقد أشار الله عز وجل الى ذلك بقوله عز من قائل : (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل)[4]

---

(١) سورة ق ـ الآية (٧) .
(٢) سورة الغاشية ـ الآية (٢٠) .
(٣) سورة النبأ ـ الآية (٧) .
(٤) سورة لقمان ـ الآية (٢٩) .

وعبر الله عز وجل عن هذا بالتكوير[1] الذى لا يتم مصادقة ، وانما يحدث بقدرة القدير ، وحكمة الحكيم. قال تعالى : (خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل)[2] .

ومن مظاهر قدرة الله تعالى فى هذا الكون الفسيح " الماء " الذى خلقه الله ، وجعله أصلا للأشياء التى بـه تحيا ، ومنها الانسان الـذى لا يستغنى فـى حياتـه عنـه .

ولما كان احتياج الانسان الى الماء بل احتياج كل الأحياء فى سبيل بقائهـا اليـه نوّه الله سبحانه وتعالى بشأنه فقال عز من قائل : (وجعلنـا من الماء كل شىء حى)[3] ، كما أشار سبحانه وتعالى فى آية أخرى الـى أن الماء كان من جملة الأشياء التى هيأها لأبى البشر آدم عليه السـلام لتحقيق سعادته ، وراحته مخاطبا آدم عليه السلام ، وممتنا عليه ، فقال جل شأنه : (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)[4]

ان من المعلوم أن الماء ينزله الله تعالى من السماء الـى الأرض فينبت بـه الزرع فتأكل منـه الأنعام والأنفس ، قال الله تعالى مذكـرا للانسان بقدرته ، وممتنـا عليه بنعمته : (أولـم يروا أنا نسوق الماء المـاء الى الأرض الجرز فنخرج بـه زرعا تأكل منـه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)[5]

---

(١) أصل التكوير : اللف والجمع ومنه كور العمامة ـ أى لفها ـ وأما قوله تعالى : (يكور الليل على النهار) فيكون معناه : يدخل هذا على هذا ـ (تفسـير غريب القرآن لأبى بكر محمد السجستانى ص ١٣٤) بتصرف .

(٢) سورة الزمر ـ الآية (٥) . (٣) سورة الأنبياء ـ الآية (٣٠) .

(٤) سورة طـه ـ الآية (١١٩) . (٥) سورة السجدة ـ الآية (٢٧) .

ولعل تذييل الآية الكريمة بهذا التذييل ، وهو قوله تعالى : (أفلا يبصرون) يدعو الانسان الى التبصر والتدبر ، فيعلم أن لهذا الكون الهـا خالقـا قديرا .

وقد جعل الله الماء مباركا اذ أخرج به فواكه لذيذة ، ونباتـا مختلفا ، وحبها متنوعة ، فيتغذى الانسان ، ويتمتع بذلك . قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخـل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)(١) .

ولقد لفت الله نظر كل عاقل الى هذه الحقيقة التي تتمثل فـي نـزول الماء من السماء فتحيى به الأرض بعد موتها حيث يقول سبحانه : (وتـرى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)(٢) .

ولقد صرح القرآن الكريم فـي آيـة من آياته المبينات بأن نزول المـاء على الأرض الميتة يكون سببا في حياتها ، وآية من الآيات التي تدل على وحدانية الله ، وقدرته ، وحكمته ـ كما أن في ذلك دليلا على بعـث الانسان ، وعودة الحياة اليه بعد الموت . قال تعالى : (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . ان الذي أحياها لمحيي الموتى انـه على كل شيء قدير)(٣) .

وأخيرا فلقد تحدى الله سبحانه وتعالى أولئك الذين ينكرون قدرتـه

---

(١) سورة ق ـ الآيات (٩ـ١١) .
(٢) سورة الحج ـ الآية (٥) .
(٣) سورة فصلت ـ الآية (٣٩) .

من مشركى العرب وغيرهم الى أن تقوم الساعة . تحداهم بهذه الحقيقة المشاهدة ، وهو أن الماء من عند الله لا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن ينزله من السماء أو يمسكه عن النزول أو يخرجه من الأرض ، فان هذا كله بيد الله سبحانه وتعالى دون غيره ، فقال تعالى : (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون)[1] ، وقال تعالى : (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)[2] .

ولله در من يقول :

وفى كل شىء له آية * تدل على أنه واحد .

---

(١) سورة الواقعة ـ الآيات (٦٨ـ٧٠) . (٢) سورة الملك ـ الآية (٣٠) .

((مناسبة الآيات لما قبلهـا :ـ))

لما أوجزت الكلام عن بعض مظاهر القدرة الالهية المنبثة فى هذا الكـون العظيم ، وهى دالة على عظم قدرة الله تعالى ، أحاول هنا بيان وجـه مناسبة الآيات القرآنيـة ـ التى تتعلق بهذا البحث ـ لما قبلها ، متبعا فى ذلك المنهج العام الذى وضعته لتفسير آيات هذه السورة الكريمة فأقول :

بعد تأكيد وقوع البعث لدى منكريه بأنه يسير جدا على الله تعالـى ، وبعد تطمين قلب الرسول صلوات الله وسلامه عليه بذكر قصة موسى عليـه السلام مع فرعون ، وعدم الاهتمام بمعارضة معارضيه ـ اذ أن كفار مكة ليسوا بأقوى من فرعون مصر وأرباب دولته ـ وقد جازاه الله بالغرق فى الدنيـا ، وسوف يجازيه بالنار فى الآخرة ، فكيف يتركهم سدى بلا عقاب ـ بعد ذلك تتجه السورة الى خطاب منكرى البعث ومستبعديه منبهة لهم الى أمر معلـوم بالمشاهدة ، وهو أن خلق السماء وما تضمنتـه من بلايين الأجرام السماويـة أعظم وأدل على القدرة الالهية . فلا شك أن الذى خلق السماوات والأرض قادر على خلق الانسان وإعادته فى يوم القيامة .

وقد ربط العلامة أبو السعود بين هذه الآيات وبين الآيات السابقة ، فقال : " قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها .) خطاب لأهـل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتهكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله سبحانـه (فانمـا

هـى زجـرة واحدة .) [1] .

وربط العلامة سيد قطب ـ عليه سحائب الرحمة ـ بأسلوبه الخاص، الرشيق، الجذاب، هذه الآيات بما قبلها فقال : (ومن هذه الجولة فـى مصارع الطغاة المعتدين بقوتهم ، يعود الى المشركين المعتزين بقوتهم كذلك . فيردهم إلى شىء من مظاهر القوة الكبرى ، فى هذا الكـون الذى لا تبلغ قوتهم بالقياس اليه شيئا : (أأنتم أشد خلقا أم السـماء بناهـا ....)[2] .

ويظهر لنا مما قاله الأستاذ سيد قطب أن الاعتزاز بالقوة قدر مشترك بين المشركين ، وقوم فرعون ، وهو الرابط بين الآيات فى نظره .

---

(١) تفسير أبى السعود ج ٥ ص٢٣٣ . وكذلك قال الامام الألوسى فى هـذا الصدد ج ٣٠ ص٣١ وكلامه مقتبس من كلام أبى السعود .
(٢) تفسير فى ظلال القرآن ج ٦ ص٣٨١٦ .

الدراسة التحليليـــة للآيـات

مـــن حيـــث

اللغة ، والاعراب ، والبلاغـــة ، والقـــراءة

---

(١) قوله تعالى : (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) .

" السماء " : أعلى كل شيء حتى يقال لظهر الفرس سماء . وسماء البيت سقفه ، لأنـه يعلوه . والفعل منـه سما يسمو سموا ـ أى علا . ويقال : سمت همته إلى معالى الأمور، اذا طلب العـز والشرف[1] .

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن كل سماء ان أضيفت الى مادونهـا فهى سماء، وان أضيفت الى مافوقها، فهى أرض الا السماء العليا ، فانهـا سماء بلا أرض . وحمل على هذا قوله تعالى : (الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن)[2].

وسُمى المطر سماء لخروجه منها ، وهذا السماء الذى هو المطـر مذكر . ويقال : ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ـ أى المطر .

والسماء المقابلة للأرض التى تظهر منها النجوم والكواكب ـ والـتى هى المراد فى آية النازعات مؤنث ، وقد يذكر . ويستعمل للواحـد والجمع كقوله تعالى : (ثـم استوى الى السماء فسواهن)[3] . وتقـــول

---

(١) المصباح المنير ج ١ ص ١٣٢ .
(٢) سورة الطلاق ـ الآية (١٢) .
(٣) سورة البقرة ـ الآية (٢٩) .

فى جمعها : السماوات . ومنه قوله تعالى : (قل من رب السماوات)[١] .

وقال تعالى : (السماء منفطر به)[٢] ، فذكر ، وقال : (اذا السماء انشقت)[٣] ، فأنث . ووجه ذلك أنه كالنخل ، والشجر ، وما يجرى مجراهما من أسماء الأجناس فى التذكير ، والتأنيث ، ويخبر عنه بلفظ الواحد ، والجمع .[٤]

والاستفهام فى قوله تعالى : (أأنتم) توبيخى . والمراد بضمير الخطاب المشركون المنكرون للبعث . و (خلقا) منصوب على التمييز . وقوله تعالى : (أم السماء) مبتدأ ، وخبره محذوف ـ أى أم السماء أشد .

ومعنى الآية كما قال الخازن : أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء بعدكم ، وفى تقديركم ، فان كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله تعالى واحد ، لأن خلق الانسان على صغره وضعفه اذا أضيف الى خلق السماء مع عظمها ، وعظم أحوالها كان يسيرا . فبيّن الله تعالى أن خلق السماء أعظم ، واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى ، فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السماوات ، والأرض ، ولا تتكرون ذلك[٥] .

---

(١) سورة الرعد ـ الآية (١٦) . (٢) سورة المزمل ـ الآية (١٨) .
(٣) أول سورة الانشقاق .
(٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز (بشىء من التصرف فى النقل) ج ٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .
(٥) تفسير الخازن ج ٥ ص ٢٠٧ .

ثم شرع الله تعالى يبيّن لنا كيفية ايجاد السماء بهيئة بديعة محكمة من غير آلة ، ولا عمد ، فقال سبحانه : (بناها) .

وضمير الفاعل هنا يعود على الله تعالى وهو — وان لم يسبق له ذكر هنا فى الآية — الا أنه متعين يدل عليه سياق الكلام .

(٢) ويصف الله تعالى بعد ذلك كيفية خلق السماء ، فيقول : (رفع سمكها فسواها) .

ونتوقف هنا عند كلمتى " السمك " ، و " التسوية " لنتعرف على معناهما فى اللغة ، فنقول :

" السمك " : — كما ذكرت كتب اللغة — هو : مسافة مابين أسفل الشىء وأعلاه ، ويراعى فيه البدء من السفل ، فان نظر الى البدء من العلو قيل له عمق .

والسمك : السقف ، والقامة من كل شىء ، وأما السمك محركة فهو الحوت ، وسماء برج فى السماء ، وبلا لام ماء بتيماء . والفعل منه : سمك الله السماء يسمكه سمكا : (من باب نصر) اذا رفعها ، وسمك الشىء يسمك سموكا : (من باب دخل) أى ارتفع . والسامك : العالى المرتفع . والسمكات : كمكرمات السماوات[1] .

أما التسوية فيقال : سوّى الشىء يسويه تسوية : اذا عدله ، وجعله

---

(١) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣١٧ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٥٩٦ ، ومختار الصحاح ص ٣٧١ .

لا عوج فيه . وسوّاه : جعله على كمال ، واستعداد لما أنشىء من أجله .[١]

فعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة : جعل الله تعالى مقدار ارتفاعها من الأرض مديدا رفيعا ، وجعلها مستوية الخلق ، معتدلة الشكل ، حيث لا تفاوت فيها ، ولا اعوجاج كما أنه لا فتور فيها ، ولا شقوق .

(٣) ثم يشير الله تعالى بعد ذلك الى بعض مظاهر السماء فيقول جل وعلا : (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) .

يقال : غطش الليل يغطش (من باب ضرب) اذا أظلم . وأغطشه الله تعالى أى جعله مظلما[٢] .

أما " الضحى " فقد قال صاحب المصباح المنير - عن هذه المادة : (الضحاء) بالفتح والمد امتداد النهار وهو مذكر كأنه اسم للوقت . والضحوة مثله والجمع ضحى مثل قرية ، وقرى .

وارتفعت الضحى - أى ارتفعت الشمس . ثم استعملت الضحى استعمال المفرد ، وسمى بها حتى صغرت على ضحى بغير هاء . وقال الفراء كرهوا ادخال الهاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة[٣] .

والفعل منه ضحى يضحى اذا تعرض للشمس . قال تعالى : (انك لا تظمأ فيها ولا تضحى) - أى لك أن تتصون من حر الشمس[٤] .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٦١٣ (٢) ترتيب القاموس المحيط ج ٣ ص٤٠٢
(٣) المصباح المنير ص٣ (٤) مفردات القرآن ص ٢٩٣ .

وبعد أن عرفنا معنى الضحى فى اللغة، وأن أصله هو ارتفاع ضوء الشمس وامتداد النهار ثم أطلق على الوقت المعروف ، وهو الآن شائع فى ذلك، نقول معنى قوله تعالى (وأخرج ضحاها) . أى أبرز نهارها .

وعبّر عن النهار بالضحى فى الآية الكريمة ، لأنه أشرف أوقاته وأطيبها ، فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان ، وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل ، وفى التعبير عن احداثه بالاخراج ، فان اضافة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام ، وأكمل فى الاحسان .

أما اضافة الليل ، والضحى الى السماء ، فهى لدوران حدوثهما على حركتها . ويجوز أن تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس — أى أبرز ضوء شمسها . والتعبير عنه بالضحى ، لأنه وقت قيام سلطانها ، وكمال اشراقها .(١)

وأشار الامام القرطبى الى هذه الاضافة بقوله : وأضاف الضحى الى السماء ، كما أضاف اليها الليل ، لأن فيها سبب الظلام ، والضياء ، وهو غروب الشمس وطلوعها .(٢)

وهذه الأقوال كلها متقاربة فى المعنى ، فان الليل والضحى قد اضيفا الى السماء ، لأنهما يحدثان بسبب غروب الشمس ، وطلوعها ، والشمس انما تسير فى كبد السماء .

---

(١) أنظر تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٣ (٢) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٤٥ .

(٤) ولما بيّن الله تعالى كيفية خلق السماء ، وأشار الى بعض مظاهر قدرته فيها وصف بايجاز طبيعة الأرض ، ومظاهر الحياة التى توجد عليها . وهذا الايجاز الذى اختص به القرآن الكريم يدل على قمة بلاغته ، وغاية فصاحته . قال الله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) — أى بسطها .

و " دحاها " من قولهم : دحا الله الأرض يدحوها دحوا : اذا بسطها . ويقولون : دحوت الشيء أدحوه دحوا اذا بسطته . ويقال لعش النعامة أدحى ، لأنه مبسوط على وجه الأرض . وقال أمية ابن أبى الصلت :

وبث الخلق فيها اذ دحاها ... فهم قطّانها حتى التنادى

ويقال : دحا يدحو دحوا ، ودحى يدحى دحيا ، كقولهم طغى يطغى ، ويطغو ، ومحا يمحو ، ويمحى . فمن قال : يدحو قال : دحوت ، ومن قال : يدحى قال : دحيت .(١)

وأشار صاحب اللسان الى هذا المعنى فقال : الدحو : البسط . يقال : دحا الأرض يدحوها دحوا بسطها . وقال الفراء فى قوله عز وجل : (والأرض بعد ذلك دحاها) قال : بسطها . وقال شمّر وأنشدنى أعرابية :

الحمد لله الذى أطاقا ... بنى السماء فوقنا طباقا ، ثم دحا

---

(١) المصدر السابق .

الأرض فما أضاقا .

قال عز: فسرته فقالت : دحا الأرض ـ أى أوسعها .[1]

مما سبق يتضح لنا معنى الدحو فى اللغة ، وهو البسط ، والتوسعة . وهذا هو المقصود فى الآية الكريمة ، حيث يكون معنى قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) ـ بعد ذكر ذلك المذكور الذى ذكره الله سبحانه وتعالى من بناء السماء ، ورفع سمكها ، وتسويتها ، وإغطاش ليلها ، وإبراز نهارها ـ بسط الأرض ، ومهدها للسكنى ، والتقلب فى أقطارها .

ومن حيث الاعراب قرئ " الأرض " منصوبا ، ومرفوعا ، فقرأ الجمهور: والأرض والجبال بنصبهما ، والحسن ، وأبو حيوة: برفعهما .[2]

فعلى قراءة النصب تكون " الأرض " منصوبة بأحد وجهين :

١ ـ إما بمضمر مقدر قد حذف على شريطة التفسير ـ أى يفسره دحاها .

٢ ـ وإما على تقدير فعل " تذكر " ، أو " تدبر " ، أو " أذكر " .[3]

وعلى قراءة الرفع تكون " الأرض " مرفوعة على الابتداء[4] ، وخبرها قوله تعالى : (دحاها) .

---

(١) لسان العرب ج ١٨ ص ٢٧٥ .
(٢) أنظر البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢٣
(٣) أنظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٢ .
(٤) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩٦ .

التوفيق بين ما ظاهره التعارض فى هذا المقام .

بعد أن انتهيت من تحليل الآية الكريمة (والأرض بعد ذلك دحاها) أود أن أذكر ما ذهب اليه علماء التفسير من الاختلاف فى أمر التقدم والتأخر فى خلق كل من السماوات والأرض ، وذلك لأن ظاهر قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) يدل على أن الأرض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى (بعد ذلك) .

وظاهر قوله تعالى (هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء ، فسواهن سبع سماوات ، وهو بكل شىء عليم)[1] .

يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء بدليل لفظة " ثم " التى تأتى للترتيب والانفصال . وكذلك آية " فصلت " يدل ظاهرها على أن الأرض خلقت قبل السماء . لأن الله تعالى قال فيها : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) الى أن قال : (ثم استوى الى السماء ، وهى دخان)[2] الآية .

فمن هنا قال بعض العلماء : ان الأرض خلقت قبل السماء . وقال بعض آخر : ان السماء خلقت قبل الأرض . وقال قوم : ان الله تعالى خلق جرم الأرض أولا ، ثم خلق السماء ثانيا ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .

وكل واحد جمع بين الآيات حسب ماذهب اليه ، وأجاب عما يخالف مذهبه .

---

(١) سورة البقرة ـ الآية (٢٩) . (٢) سورة فصلت ـ الآية (١١) .

١ ـ أما من قال : ان الأرض خلقت قبل السماء ، فاستدل بآية " البقرة "، وهى قوله تعالى : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى الى السماء ، فسواهن سبع سماوات ، وهو بكل شىء عليم) كما استدل بآية " فصلت " وهى قوله تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) .

فكيف يجمع هؤلاء بين الآيات التى جاءت فى سورتى " البقرة " و " فصلت " وبين آية سورة " النازعات " التى يفيد ظاهرها بأن الأرض خلقت بعد السماء ؟ .

يجمع هؤلاء بين هذه وتلك بأن معنى قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) ـ أى مع ذلك دحاها ـ كقوله : (عتل بعد ذلك زنيم)[1] أى مع ذلك زنيم . وكما يقال للرجل : أنت أحمق ، وأنت بعد هذا لئيم الحسب بمعنى مع هذا .[2]

ويؤيد ذلك ما روى عن مجاهد أنه قرأ قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) هكذا (والأرض مع ذلك دحاها) .[3]

---

(١) سورة القلم ـ الآية (١٣) . (٢) أنظر تفسير ابن جرير ج ٣٠ ص ٤٥ .
(٣) المصدر السابق .

أو يقولون بأن كلمة " بعد " فى آية "النازعات" بمعنى قبل كقوله تعالى : (ولقد كتبنا فى الزبـــور من بعد الذكر) أى من قبل الذكر.[1]

ومن الأحاديث التى تؤيد هؤلاء ما رواه ابن جرير وغيره وصححوه عن ابن عباس " أن اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (خلق اللـــه الأرض يوم الأحد ، والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، ومـــا فيهـــن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء ، والمدائـــن والعمران والخراب ـ فهذه أربعة ـ ثم قال : (أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ســـواء للسائلين) لمن سأل . قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم ، والشمس والقمر ، والملائكة .... الخ)[2] .

٢ ـ وأما من قال : ان السماء خلقت قبل الأرض فاستدل بظاهر قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) . اذ أن ظاهر هذه الآية الكريمـــة يفيد بأن السماء خلقت قبـل الأرض .

وهؤلاء يجمعون بين هذه الآيـة ، وبين آية البقرة ، فيقولون : ان الخلق فى سورة البقرة بمعنى التقدير ، أو ان الخلق بمعنى ارادة الخلق ، وان البعدية ههنـا ـ أى فى سورة النازعات ـ لايجـــاد

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٣٦٨ والآية (١٠٥) من سورة الأنبياء .
(٢) تفسير ابن جرير ج ٢٤ ص ٩٤ .

الأرض ، وجميع ما فيها . وكذلك يجمع هؤلاء بين هذه الآية وبين آيات " فصلت " ، فيقدرون الارادة فى قوله تعالى : (خلق الأرض فى يومين) أى أراد خلق الأرض ، وكذا فى قوله سبحانه : (وجعل فيها رواسى) أى أراد أن يجعل . وقالوا : يؤيد ذلك قوله تعالى : (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فان الظاهر أن المراد : أئتيا فى الوجود . ولو كانت الأرض موجودة سابقة لما صح هذا ، فكأنه قال سبحانه : أئنكم لتكفرون بالذى أراد ايجاد الأرض ، وما فيها من الرواسى ، والأقوات فى أربعة أيام ، ثم قصد الى السماء ، فتعلقت ارادته بايجاد السماء ، والأرض ، فأطاعا لأمر التكوين ، فأوجد سبع سماوات فى يومين ، وأوجد الأرض ، وما فيها فى أربعة أيام[1] .

ونظير ذلك قوله تعالى : (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا)[2] أى اذا أردتم القيام الى الصلاة . وقوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن)[3] أى اذا أردت قراءة القرآن .

وقالوا : ان " ثم " فى السورتين فى قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء) للتراخى الرتبى لا للتراخى الزمانى ، كما جاء فى قوله تعالى : (ثم كان من الذين آمنوا)[4] فان اسم كان ضمير

---

(١) انظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٣ ، و ج ١ ص ٢١٦ .
(٢) سورة المائدة ـ الآية (٦) . (٣) سورة النحل ـ الآية (٩٨) .
(٤) سورة البلد ـ الآية (١٧) .

يرجع الى فاعل (فلا اقتحم) وهو الانسان الكافر . وقوله سبحانه : (فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) تفسير للعقبة ، والترتيب الظاهرى يوجب تقديم الايمان عليه ، لكن "ثم" هنا للتراخى فى الرتبة مجازا .[1]

(٣) وأما من قال : ان الله تعالى خلق جرم الأرض أولا ، ثم خلق السماء ثانيا ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فاستدل بكلمة "دحاها" فى قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) . اذ أن الله سبحانه وتعالى قال فيها : (دحاها) أى بسطها ومدها ، ولم يقل خلقها ، أو أنشأها ، أو ابتدأها .

وقد نشأ توهم خلق الأرض بعد السماء هنا من تفسير دحاها بأنشأها ، وخلقها ، وليس كذلك ، بل المراد منها : مهدها وأعدها للسكنى ، ويكون قوله تعالى بعد ذلك : (أخرج منها ماءها ومرعاها) قرينة على ذلك ، لأن هذه الجملة حال من الهاء فى دحاها . أى أعدها للسكنى ، ومهدها حالة كونها مخرجا منها ماؤها ومرعاها .[2]

ومن الأحاديث التى يستدل بها القائلون بذلك ما أخرجه البخارى فى صحيحه أن رجلا قال لابن عباس رضى الله عنهما :

---

(١) تفسير الألوسى ج ٢٤ ص ١٠٧ .
(٢) انظر أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين ج ٢ ص ٢٩٨ .

" انى أجد فى القرآن أشياء تختلف على ، فذكر بعض الأشياء ، ثم قال : (أم السماء ـ الى قوله : " دحاها " ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال : " أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ـ الى طائعين " فذكر فى هذه خلق الأرض قبل السماء ،) فقال ابن عباس رضى الله عنهما : " خلق الأرض فى يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين آخرين ، ثم دحا الأرض .

ودحوها : أن أخرج منها الماء ، والمرعى ، وخلق الجبال ، والجماد ، والآكام[1] ، وما بينهما فى يومين آخرين ، فذلك قوله : (دحاها) وقوله : (وخلق الأرض فى يومين) فجعلت الأرض وما فيها من شىء فى أربعة أيام ، وخلقت السماوات فى يومين "[2]

" وأيضا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما مثل هذا الحديث بطريق آخر . قد أورده الامام السيوطى فى كتابه ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ـ عند قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها) فقال : " أخرج عبد بن حميد ، وابن أبى حاتم عن ابن عباس : أن رجلا قال له : آيتان فى كتاب الله تعالى تخالف احداهما الأخرى ، فقال : انما أتيت من قبل رأيك . اقرأ ـ قال ـ " قبل

---

(١) الأكمة : هى التل ، وجمعها : أكم ، مثل قصبة ، وقصب ، وجمع الأكم اكام مثل جمل ، وجمال ، وجمع الاكام أكم مثل كتاب وكتب ، وجمع الأكم آكام مثل عنق وأعناق (انتهى من المصباح المنير)

(٢) صحيح البخارى ج ٦ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، كتاب التفسير (٦٥) .

أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض[1] فى يومين " حتى بلغ " ثم استوى الى السماء وهى دخان " وقوله : (والأرض بعد ذلك دحاها)قال : خلق الأرض قبل أن يخلق السماء ، ثم خلق السماء ، ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء ، وانما قوله دحاها ـ بسطها "[2] .

الا أنه ورد على هذا القول اشكالان :

أولهما : أن الأرض جسم عظيم ، فيكون ظاهره كالسطح المستوى ، ويستحيل أن يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ، ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا[3] . وقد أورده الامام فخر الدين الرازى .

وثانيهما : أن قوله تعالى : (خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات ، وهو بكل شئ عليم[4]) ، يفيد أن خلق ما فى الأرض قبل خلق السماوات . ومن المعلوم أن خلق ما فيها انما هو بعد الدحو ، فكيف يكون الدحو بعد خلق السماوات ؟ .[5]

أجيب عن الاشكال الأول : بأنه لعل مراد القائل بخلقها أولا ، ثم دحوها ثانيا ، خلق مادتها أولا ، ثم تركيبها ، واظهارها على هذه الصورة والشكل مدحوة مبسوطة . وهذا كما قيل

---

(١) قد وجدت فى " الدر المنثور " خلق الله الأرض ، الا أننى لم أكتب كذلك ، لأن لفظ الجلالة لم يأت به الله تعالى هنا فى هذه الآية بين " خلق " وبين " الأرض " .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣١٣ .

(٣) انظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٢ ، وتفسير فخر الدين الرازى ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤) سورة البقرة ـ الآية (٢٩) . (٥) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٢ .

فى قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات)ان السماء خلقت مادتها أولا ، ثم سويت ، وأظهرت على صورتها اليوم .[1]

وأجيب عن الاشكال الآخر بأحد وجهين :

أحدهما : أن " ثم " فى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) الآية ليست للترتيب الزمنى ، وانما هو على سبيل تعداد النعم ، كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه ألم أعطك ، ألم أرفع قدرك ، ألم أدفع عنك . ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض .[2]

والثانى : أن المراد بخلق ما فى الأرض جميعا فى قوله تعالى : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا) . هو التقدير ، أو ارادة الخلق . ولا يمكن أن يراد من ذلك الايجاد بالفعل ضرورة أن جميع المنافع الأرضية يتجدد ايجادها أولا فأولا . وان سلمنا جدلا أن المراد هو الايجاد بالفعل ، فانه - يجوز - أن يكون المراد خلق مادة ذلك بالفعل .[3]

بعد أن ذكرت الاشكالين على القول الثالث ، وما أجيب به عنهما يجدر بى أن أبين اشكالا آخر يرد فى هذا المقام ، ويتعلق ببعض الأحاديث التى تبدو فى ظاهرها متعارضة .

---

(١) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٢ (٢) تفسير الخازن ج ١ ص ٤٣ .
(٣) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٣ (بتصرف)

وهذا الاشكال هو : أن رواية ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألته عن خلق السماوات والأرض ، فقال عليه الصلاة والسلام : " خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وما فيهن من منافع " الى آخر الحديث[1] . تخالف ما أخرجه الامام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " خلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء " الى آخر الحديث[2] . اذ أن ما رواه ابن جرير يقتضي خلق ما في الأرض من الأشجار ، والأنهار ، ونحوها قبل خلق السماء ، بينما تفيد رواية البخاري التي أوردها عن ابن عباس رضي الله عنهما بأن الله تعالى دحا الأرض بعد خلق السماء ـ أي أخرج منها الماء ، والمرعى ، وخلق الجبال ، والآكام الى آخر الحديث .

فكيف يجمع بين هذين الحديثين ؟ .

يدفع التعارض بين هذين الحديثين بأن الظاهر أن يحمل خلق ما في الأرض من الأشجار ، والأنهار ، ونحوها الى آخر الحديث في رواية ابن جرير على أنه خلق مادة ذلك ، وأصوله ، اذ لا يتصور العمران ، والخراب قبل خلق السماء[3] .

---

(١) أنظر ص ١٤٠ من هذه الرسالة (٢) أنظر ص ١٤٣ من هذه الرسالة .
(٣) أنظر تفسير الألوسي ج ٢٤ ص ١٠٥ .

فعلى هذا يزول التعارض بين هذين الحديثين .

بعد استعراضنا لهذه الأقوال الثلاثة المختلفة ، ووجهات نظر القائلين بها ، أرى أن أرجح الأقوال فى ذلك هو القول الثالث الذى يفيد أن الله تعالى خلق جرم الأرض أولا ، ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ذلك .

وذلك لأمرين :

الأول : أن هذا القول هو قول ابن عباس رضى الله عنهما . وابن عباس هو ترجمان القرآن ، وهو الذى دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعلمه الله التأويل ، فكلام ابن عباس هنا أولى بالقبول .

والثانى : أن الحافظ ابن حجر ـ بعد أن شرح حديث ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال : ان هذا القول هو "المعتمد"(١) .

والحق أن هذا الموضوع يطول البحث فيه ، ولكننا نكتفى بهذا القدر الذى ذكرناه .

والله الموفق ، والهادى الى سواء السبيل .

وقبل أن أنهى الكلام فى تفسير هذه الآيات البينات أحب أن أجيب على سؤال قد يثار فى هذا المقام . وهو : ماهو السر فى تقديم خلق الأرض ، وما فيها فى الظاهر فى سورتى "البقرة" و"الدخان"

---

(١) يراجع فتح البارى ج ٨ ص ٥٥٨ .

على خلق السماوات ، ولماذا جاء العكس ههنا ؟ .

والجواب على ذلك : أن هذا الأمر يختلف باختلاف المقام . ففى سورتى " البقرة " ، و " الدخان " أراد الله سبحانه وتعالى اظهار الامتنان ، واحصاء النعم على المؤمنين والكفار ، فهو مقام يقتضى أن يقدم " ما هو نعمة بالنظر الى المخاطبين من الفريقين .

وفى الآية المذكورة فى سورة " النازعات " قصد الله سبحانه وتعالى أن يبين كمال قدرته ، واتقان صنعه فى خلقه ، فهو مقام يقتضى أن يقدم ما هو أحكم ، وأدل .

لذلك قدم خلق الأرض فى سورتى " البقرة " و " الدخان " ، وقدم خلق السماء فى سورة " النازعات " .

وجرى بنا أن نذكر ههنا ما قاله الشيخ الألوسى فى هذا الصدد ، فقد قال : " ونكتة تقديم خلق الأرض ، وما فيها فى الظاهر فى سورتى " البقرة " و " الدخان " على خلق السماوات ، والعكس ههنا ، أن المقام فى الأولين مقام الامتنان ، وتعداد النعم على أهل الكفر والايمان ، فمقتضاه تقديم ما هو نعمة بالنظر الى المخاطبين من الفريقين ، فكأنه قال سبحانه : هو الذى دبر أمركم قبل السماء ، ثم خلق السماء .

والمقام هنا مقام بيان كمال القدرة ، فمقتضاه تقديم ما هو

أهل . انتهـــى "[1]

(٥) وقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) تفسير ، وبيان للدحـــر الذى ذكر فى الآيـة السابقة .

لقد بيّن الله تعالى فى هذه الآية الكريمة ما أنعم بـه علـــى خلقه من اخراج الماء ، حيث فجر العيون ، وأجرى الأنهار ، كما أوجد البحار العظام فى مختلف أنحاء العالم .

ولنا وقفة قصيرة عند كلمة " مرعى " فى هذه الآية الكريمـة ، لنتعرف على معناها اللغوى .

قال الفيروز آبادى : الرعى بالكسر : الكلأ ، والجمع أرعـاء . والرّعى المصدر . وهو فى الأصل حفظ الحيوان اما بغذائـه الحافظ لحياته ، أو بذب العدو عنـه . يقال : رعيته أى حفظته وأرعيته : جعلت له ما يرعى . والمرعى : الرعى "[2]

وقال صاحب المصباح المنير : رعت الماشية ترعى رعيا ، فهـى راعية اذا سرحت بنفسها ، ورعيتها أرعاها يستعمل لازما ، ومتعديا . و " الفاعل " " راع " . والجمع " رعاة " بالضم مثل " قاض ، وقضاة " . وقيل أيضا : " رعاء " بالكسر والمد و " رعيان " مثل " رغفان " . وقيل للحاكم ، والأمير ، راع لقيامه بتدبر الناس ، وسياستهم ، والنـاس

---

(١) تفسير الألوسى . ج ٣٠ ص ٣٣ .
(٢) بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ج ٣ ص ٨٨ ــ ٨٩ .

رعية • والرعى وزان حمل والمرعى بمعنى • وهو ما ترعاه الدواب ، والجمع " المراعى " .(١)

ومن هذا يتبيّن لنا أن المرعى فى أشهر معانيه فى اللغة هو : ما تأكله الدواب ، الا أن المراد به هنا فى الآية الكريمة ، ما يأكله الانسان ، وغيره ، فهو مجاز مرسل من قبيل اطلاق المقيد وارادة المطلق •

وان سئل عن علة عدم دخول العاطف على قوله تعالى (أخرج) ؟؟

أجيب : بأنه لم يدخل العاطف لوجهين ـ كما ذكر الزمخشرى :

أحدهما : أن يكون معنى دحاها بسطها ، ومهدها للسكنى • ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تأتى سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب ، وامكان القرار عليها ، والسكون باخراج الماء ، والمرعى ، وارساء الجبال ، واثباتها أوتادا لها حتى تستقر ، ويستقر عليها •

والثانى : أن يكون " أخرج " حالا باضمار " قد " (أى مخرجا) كقوله تعالى : (أو جاءوكم حصرت صدورهم)(٢) •

ومن هذا الكلام الذى ذكره الزمخشرى فى الكشاف ، يتبين لنا أن المقام هنا يقتضى الوصل ، لا الفصل ، لأن جملة " أخرج منها ماءها ومرعاها " على الوجه الأول تعتبر بيانا ،

---

(١) أنظر المصباح المنير ص ٢٤٧ •
(٢) تفسير الكشاف ـ ج ٣ ص ٣١٠ ، والآية (٩٠) من سورة النساء •

وتفسيرا لجملة " دحاها " . والجملة المفسرة هي عين الجملة المفسرة فجاء الوصل لكمال الاتصال بينهما ، وذلك : لئلا يلزم عطف الشيء على نفسه .

أما على الوجه الثاني ، وهو : اعراب الجملة حالا ، فهذا يقتضي كذلك أن تكون الجملة مجردة عن العاطف .

(٦) وبعد ذلك عطف الله تعالى قوله : (والجبال أرساها) على قوله سبحانه : (أخرج منها ماءها ومرعاها .)

فقد بيّن الله تعالى ما أنعم به على الانسان من تمهيد الأرض وجعلها صالحة للسكنى فيها ، والتقلب في أنحائها ، واخراج الماء منها ، وانبات جميع ما يأكله الناس ، والأنعام ، ثم أتبع ذلك بنعمة أخرى ، وهي : ارساء الجبال في الأرض كالأوتاد لها لكيلا تضطرب ، وتميد بالأنام ، فقال : (والجبال أرساها) ـ أي ـ ثبتها في الأرض .

يقول صاحب لسان العرب : رسا الشيء يرسو رسوا : ثبت ، ومنه قوله تعالى : (وقدور راسيات)[1] ، ويقال : رست السفينة ترسو رسوا : اذا بلغ أسفلها القعر ، وانتهى الى قرار الماء ، فثبتت ، وبقيت لا تسير .

وتقول العرب : رسى الجبل ، يرسو : اذا ثبت أصله في الأرض

---

(١) سورة سبأ ـ الآية (١٣) .

ومنه جبال راسيات ، والرواسى من الجبال ـ أى الثوابت الرواسخ . فقال الأخفش : واحدتهـا راسية .

ويقال :أرسى الله الجبل يرسيه ارساء : أى جعله ثابت الأصل راســـــخا .[١]

ومن الجدير بالملاحظة هنا أنـه تعالى قال : (والجبال أرساها) ولـم يقل رسـا الجبل . فلمـــــاذا ؟ .

الجواب على ذلك : أنـه تنبيه على أن الرسو المنسوب اليها فـى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ، ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل . ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضـــلا عن اثباتهـا للأرض .[٢]

والقراءة فى قوله تعالى : (والجبال أرساها) قد سبق فيهـا الكـــلام .[٣]

أما السر فى تقديم " اخراج الماء " ، و " المرعى " فى الذكر مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو .

فلعل ذلك لابراز كمال الاعتناء بأمر المأكل ، والمشرب مع مافيـه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء ، والمرعى الى الجبال .[٤]

---

(١) انتهى بالتلخيص من لسان العرب ج ١٩ ص ٣٥ .
(٢) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٣ . (٣) انظر ص ١٣٧ من هذه الرسالة .
(٤) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٣ .

(٧) ولما ذكر الله تعالى بعض مظاهر قدرته الفائقة المنبثة فى السماء ، والأرض ، وأشار الى كونها نعمة عظمى ، ختم كلامه بقوله تعالى : (متاعا لكم ولأنعامكم) .

وينبغى لنا الآن أن نلقى النظر على معنى كلمتى "المتاع" و"الأنعام"

فالمتاع : كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها ، وكثيرها . والمتاع : المال ، والأساس . وقال الأزهرى : ان المتاع فى الأصل هو : كل شىء ينتفع به ، ويتبلغ به ، ويتزود ، والفناء يأتى عليه فى الدنيا . والجمع أمتعة ، وأماتع وقيل : أماتيع .(١)

وقال الفيروز آبادى : المتاع : المنفعة ، والسلعة ، والأداة ، وما تمتعت به من الحوائج . والمتعة ، والمتاع اسمان يقومان مقام المصدر الحقيقى ، وهو : التمتيع . يقال : أمتعة الله بكذا ـ أى متّعه ، وأمتعت بالشىء ـ أى تمتعت به .(٢)

مما سبق يتبين لنا أن المتاع معناه : المنفعة التى ينتفع بها كما أن هناك تنبيها فى معناه على أن هذه المنفعة لا تدوم ، بل لها مدة معلومة ، ثم يأتى عليها الفناء .

ويدل على ذلك قوله تعالى : (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين)(٣) ـ أى لكم فى الدنيا تمتع لوقت معلوم ، وقوله تعالى : (وان كل

---

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ و ٢٠٩ .
(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٨٦ وبصائر ذوى التمييز ج ٤ ص ٤٧٨ .
(٣) سورة البقرة ـ الآية (٣٦) .

ذلك لما متاع الحيوة الدنيا)[1] ـ أى منفعتها التى ليس لها بقاء وانما يطرأ عليها الفنـاء .

أما الأنعام : فمفردها النعم ، وهو يختص بالابل . وذكر الراغـب وجه تسمية الابل بالنعم فقال :[2] وتسميته بذلك لكون الابل عندهـم أعظم نعمة ، ثـم قال لكن الأنعام تقال للابل ، والبقر ، والغنم . ولا يقال لها أنعام ، حتى يكون فى جملتها الابل . قال تعالى : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون)[3] . وقال تعالى : (فاختلط بـه نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام)[4] فالأنعام ههنا : عام فى الابل وغيرها . قال صاحب اللسان : العرب اذا أفردت النعم لم يريدوا بها الا الابل ، فاذا قالوا : الأنعام أرادوا بها الابل ، والبقر ، والغنم .[5]

اذن فالمراد بالأنعـام فى الآية التى معنا : الأزواج الثمانية . وهى الابل ، والبقر ، والغنم ، والمعـز ، وخص الأنعام هنا بالذكـر لشرفها ، والا ، فهو متاع لسائر دواب الأرض .

وما أشد الارتباط بين بداية الآيات فى هذا المبحث اذ تقول : (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) ، وبين نهاية الآيات فيه ، حيث تقول: (متاعا لكم ولأنعامكم) .

وذلك أن الهداية كما تدل على أن من يقدر على خلق السماء التى

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية (٣٥) .
(٢) مفردات القرآن ص ٤٩٩ .
(٣) رر رر (١٢) .
(٤) سورة يونس ـ الآية (٢٤) .
(٥) لسان العرب ج ١٦ ص ٦٤ .

هى أشد من خلق الانسان هو قادر بالأولى على اعادته بعد الموت كذلك يشير مدلول المتاع فى النهاية فى قوله تعالى : (متاعا لكم ولأنعامكم) الى أن المنفعة التى أنعم الله بها عليكم (أيها الناس) وتتمتعون بها فى الدنيا لا تدوم الى أبد الآباد ، بل هى مدة معلومة ، ثم انكم لتنتقلون منها الى الدار الآخرة ، وهناك لا محالة من وقوع الحساب ، والجزاء ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

ولم يبق لنا الآن فى هذه الآية الكريمة ، الا أن نذكر اعراب قوله تعالى : (متاعا لكم ولأنعامكم) ، فلاعرابه ثلاثة أوجه :

الأول : أنه منصوب على أنه مفعول له . أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم .

والثانى : أنه منصوب على أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف . أى متّعكم بذلك متاعا .

والثالث : أنه منصوب على أنه مصدر من غير لفظة ، فان قوله تعالى : (أخرج منها ماءها ومرعاها) فى معنى متّع بذلك .[1]

---

(١) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٤ = وتفسير روح المعانى ج ٣٠ ص ٣٥ .

((المعنى الاجمالى))

ويرجع القرآن مرة أخرى لتأكيد أمر البعث ، حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى المنكرين للبعث ، والمستبعدين لامكان عودتهم الى الحياة بعد الممات قائلا لهم : كيف تنكرون البعث أيها المشركون !

(ألم تروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير .)[1]

أما تأملتم هل اعادة خلقكم أصعب ، وأشد على الله ، أم خلق السماء التى بناها عالية المحكمة البنيان الخالية من التفكك ، والتشقق ، والاضطراب ، وجعل ليلها مظلما ، ونهارها مضيئا ، ولم يجعل الأرض فقط بساطا لمن يستقر فيها ، بل أخرج منها ماءها ، ومرعاها ، حيث فجر العيون منها وأجرى البحار ، والأنهار ، وأنبت فيها الأشجار ، والثمار ، كما أنه أنعم عليهم بانبات الجبال فيها ، وجعلها كالأوتاد للأرض فى حفظ توازنها واعتدال أقطارها ، والا لكان القيام للناس عليها ، والمشى فى مناكبها متعذرا قطعا . ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك فى كتابه حيث قال : (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم)[2] ، اذ لو لم تكن هذه الجبال الشامخات ، لكانت الأرض دائمة الحركة ، والاضطراب .

وقد خلق ذلك كله لينتفع به كل من يعيش على الأرض من انسان ،

---

(١) سورة الأحقاف ـ الآية (٣٣) . (٢) سورة النحل ـ الآية (١٥) .

وحيوان ، الا أن هذا الانتفاع لا يدوم الى الأبد ، بل لـه وقت معلوم ، ثـم لا بد من وقوع القيامة ، والجزاء – يوم – يرى المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر يليتنى كنت ترابـــا .

فمن شاء النجاة هناك ، فليؤمن بالله ، ويعمل عملا صالحا ، لأن ذلك اليوم – يوم العدل . ولا يظلم ربك أحـــدا .

((مايستنبط من الآيات))

١ ـ عظم قدرة الله سبحانه وتعالى فى الكون من رفع السماء بغير عمد ، وخلوها من تفاوت يخل بهما .

٢ ـ الليل ، والنهار نعمتان من نعم الله تعالى ، حيث جعل النهار معاشا ، والليل لباسا .

٣ ـ عظم نعمة الله على الانسان ، حيث جعل الأرض مذللة له ، ليستطيع السير عليها ، والاستمتاع بخيراتها .

٤ ـ أهمية الجبال ، حيث انها أوتاد للأرض لكيلا تميد بالناس .

٥ ـ امتداد نعم الله سبحانه ، وتعالى ، بحيث لا تقف على الانسان فحسب ، وانما تشمل كذلك غيره من الحيوانات .

المبحث الخامس

((المبحث الخامس))

(يوم القيامة ، وما فيه من ثواب ، وعقاب)

النص القرآنى

الذى

تدور حوله الدراسة

فى

المبحث الخامس

قال الله تعالى : (فاذا جاءت الطامة الكبرى • يوم يتذكر الانسان ما سعى • وبرزت الجحيم لمن يرى • فأما من طغى • وآثر الحيوة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى) •

((الآيات من (٣٤) الى (٤١)))

تمهيـــــد :

ويجدر بـى هنا أن أقدم نبذة عن يوم القيامة ، وما فيه من ثواب ، وعقاب ، وذلك بمثابة تمهيد أضعه بين يدى هذا المبحث ، فأقول :

لقد تحدث القرآن الكريم طويلا عن يوم القيامة الذى هو آخر أيـام الدنيا ، وهو الذى يقف فيه الناس أمام رب العالمين ليجزى فيه الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

ويوم القيامة حقيقة واقعة لا يصح لعاقل أن ينكرها . ولما كان الايمان باليوم الآخر من العقائد الأساسية التى اشتملت عليها جميع الأديان ركّـز القرآن الكريم على ذلك ، وتحدث عنـه طويلا ، كما جاء فى قوله تعالى : (الحاقة ما الحاقة)[1] ، وقوله تعالى : (القارعة ما القارعة)[2] ، وقوله عـز وجل : (فاذا جاءت الطامة الكبرى)[3] ، وقوله تعالى : (فاذا جاءت الصاخة)[4]

ولقد صوّر القرآن الكريم أحوال الناس فى هذا اليوم أبلغ تصويـــر ، فقال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يـوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)[5] .

والذى يقرأ الآيات القرآنية التى تتحدث عن يوم القيامة يجد أنهـــا

---

(١) سورة الحاقة ـ الآيتان (١ـ٢) .
(٢) سورة القارعة ـ الآيتان (١ـ٢)
(٣) سورة النازعات ـ الآية (٣٤) .
(٤) سورة عبس ـ الآية (٣٣)
(٥) سورة الحج ـ الآيتان (١ـ٢) .

تحدثت عنه بأسماء متعددة . فأحيانا يعبّر القرآن عنه باسم "الصاخة"، وأخرى "بالطامة" ، كما أنه يعبّر عنه باسم "القارعة" ، و"الغاشية".

وهذا يثير سؤالا فى النفس ، وهو : هل يلزم من ذلك تعدد يوم القيامة تبعا لتعدد هذه الأسماء ؟ .

والجواب عن ذلك لا ؛ ، فان يوم القيامة يوم واحد ، وهذه أسماء لمسمى واحد .

وقد أطلقت عليه هذه الأسماء الكثيرة لعظيم هوله ، وشديد خطبه ، وكل اسم من هذه الأسماء يناسب حالا من الأحوال التى تكون فيه ، فأما قوله تعالى : (فاذا جاءت الصاخة)[1] فقد سمى يوم القيامة بذلك ، لأن فيه صيحة تصخ الآذان ـ أى تصمها .

وأما قوله تعالى : (فاذا جاءت الطامة الكبرى)[2] فقد سمى يوم القيامة "بالطامة" هنا ، لأن الشدائد التى تكون فيه تطم على كافة الدواهى وتغلب عليها ، وتنسى جميعها ، لهولها الغاية فى الشدة والهول .

وسمى يوم القيامة "بالقارعة" ، لأن شدة الصوت التى تكون فيه تقرع السمع ، وتفزع القلب ، وتزلزل الأرض .

أما وجه تسمية هذا اليوم "بالغاشية" ، فلأنه يغشى الناس بشدائده وأهواله . وهكذا ، بقية الأسماء التى سمى بها يوم القيامة .

---

(١) سورة عبس ـ الآية (٣٣) . (٢) سورة النازعات ـ الآية (٣٤) .

ان يوم القيامة يوم يفصل الله تعالى فيه بين الناس ، ويجازى كل انسان بمقتضى عمله ، فاننا نرى فى الحياة الدنيا أن فردا من الناس يقتل ظلما ، وعدوانا ، وفردا آخر يسلب ماله ، وتنتهك حرماته ، وثالثا يعتدى عليه بالضرب ، والشتيمة ، فياترى هل تذهب حقوق الناس سدى ، ولا ترد الى أصحابها ؟ . كلا : فلابد من يوم يأخذ فيه كل ذى حق حقه ، فترد الى المظلوم مظلمته فى ذلك اليوم — يوم العدالة الكاملة والقضاء الحق — الذى يقضى الله فيه بين الخلائق .

فاذا كانت الدنيا لا تقام فيها الموازين ، فان هناك يوما تقام فيه موازين الحق بالحق ، وهو يوم القيامة . قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين .)[1] ، كما أن هناك للمكذبين والملاحدة موقفا ينتظرهم لا يستطيعون الفرار منه ، وذلك هو : يوم البعث الذى أنكروه فى الدنيا ، وسخروا منه . قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذين يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .)[2]

والناس يوم القيامة فريقان :

فريق مصدق ، ومتبع لأحكام الله تعالى ، وقد أعد الله لهؤلاء جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، عرضها كعرض السماوات ، والأرض ،

(١) سورة الأنبياء — الآية (٤٧) . (٢) سورة النحل — الآية (٣٨) .

وفيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشـــر .

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث قدسى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله عز وجل : أعددت لعبـــادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .)[1]

مصداق ذلك فى كتاب الله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهـــم من قرة أعين . جزاء بما كانوا يعملون)[2] .

أما الفريق الثانى الذى كذب بالله ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيـه من ثواب ، وعقاب ، فقد أعد الله له عذاب جهنم ، وبئس القرار .

ولقد أشار الله تعالى الى هذين الفريقين بقوله مخاطبا النبى صلـى الله عليه وسلم : (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومـــن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه . فريق فى الجنة وفريق فى السعير .)[3] .

فقد بينت الآية الكريمة الهدف من رسالة النبى صلى الله عليه وســلم وأنـه يتمثل فى الانذار ، كما أن الآية ذكرت الجزاء الأخروى حيث قسمت الناس الى قسمين :

فريق مؤمـــن . وهو فـى الجنـــة .

وفريق مكـــذب . وهو فـى النـــار .

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٧٤ ــ ٥١ كتاب الجنة ، وصفة نعيمها ، وأهلها . رقم الحديث (٢٨٢٤) .

(٢) سورة السجدة ــ الآية (١٧) (٣) سورة الشورى ــ الآية (٧) .

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن ذكرت حديثا موجزا عن يوم القيامة ، وما يكون فيه من ثواب ، وعقاب ، أقصد الآن الى تحليل الآيات الكريمة فى هذا البحث .

وأول ما أعرض له ههنا هو الربط بين هذه الآيات ، وما قبلها من الآيات ، فأقول :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة أنه خلق السماوات ، وما فيها من الأنوار ، والأجرام ، وأنه مهد الأرض ، وخلق فيها كل مايحتاج اليه الانسان ، والأنعام ، وذلك دليل القدرة على البعث ، واعادة الأجسام — لما ذكر الله ذلك شرع هنا فى الحديث عن القيامة ، ومافيها من جزاء ، فمن أحسن فله الجنة ، حسنت مستقرا ، ومقاما ، ومن أساء ، فله النار ، ساءت مستقرا ، ومقاما ، فقال عز من قائل : (فاذا جاءت الطامة الكبرى) .

وقد عقد العلامة فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير مناسبة بين الآيات التى وضعتها فى نطاق هذا البحث ، وبين ما قبلها من الآيات ، فقال : " انه تعالى انما ذكر كيفية خلقة السماء ، والأرض ، ليستدل بهما على كونه قادرا على الحشر ، والنشر ، فلما قرر ذلك ، وبين احكامه الحشر ، والنشر عقلا ، أخبر بعد ذلك عن وقوعه ، فقال تعالى : (فاذا جاءت الطامة الكبرى) "[1] .

---

(١) التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ج ٨ ص ٣٥٣ ، والآية (٣٤) من سورة النازعات .

" الدراسة التحليلية للآيات

من حيث

اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة ."

---

(١) قوله تعالى : (فاذا جاءت الطامة الكبرى) .

" الفاء " في مستهل هذه الآية الكريمة ، للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها ، فقد سبق أن ذكرنا أن الآيات السابقة تضمنت الأدلة العقلية على وقوع البعث ، ويترتب على ذلك الاخبار بوقوعه ، وقيام الساعة .

" اذا " ظرف لما يستقبل من الزمان ، وهي متضمنة لمعنى الشرط ، ويكون الفعل بعدها ماضيا كثيرا ، كما جاء في الآية التي نحن بصددها ، ومضارعا دون ذلك .

وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع .

وانما دخلت الشرطية على الاسم في نحو قوله تعالى : (اذا السماء انشقت) لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير ، لا مبتدأ خلافا للأخفش .

أما " اذا الفجائية " ، فهي تدخل على الجملة الاسمية .

وقد اجتمعت اذا الفجائية والشرطية في قوله تعالى : (ثم اذا

دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون)[1] وقوله تعالى : (فـاذا أصاب بـه من يشاء من عباده اذاهـم يستبشرون)[2] .

و " الطامة " : هى صيغة اسم الفاعل للمؤنث من طم الأمر طما : اذا علا وغلب . قال القفال : أصل الطمّ : الدفن ، والعلو ، وكـل ما غلب شيئا ، وقهره ، وأخفاه ، فقد طمّـه ، ومنـه الماء الطامى وهـو : الكثير الزائد . تقول العرب : طم الوادى طموما اذا عـلا وغلب ، وفى أمثالهم : جرى الوادى فطم على القـرى . ويقال : جاء السيل ، فطم الركية[3] ـ أى دفنها ، وسوّاها ، وكل شىء كـثر ، حتى علا ، وغلب ، فقد طم (من باب رد) ، فالطامة : اسـم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها فى جنبها .[4] ، ومنه سميت القيامـة " الطامة الكبرى " ، لأنها تعلو ، وتغلب على سائر الدواهى ، وتنسى جميعها لشدتها ، وهولهـا .

وسميت القيامة " طامة " فى هذه السورة ، بينما سميت فى السورة اللاحقة المعروفة بسورة عبس بـ " الصاخة " ، والصاخة : الصوت الشديد لأن من شدة صوتها يحيا الناس ، كما ينتبه النائم من (الصوت) الشديد .

---

(١) سـورة الروم ـ الآية (٢٥) .
(٢) أنظر مغنى اللبيب ج ١ ص ٨٤ـ٨٥ ، والآية (٤٨) من سورة الروم .
(٣) الركيّة : البئر جمعها ركىّ ، وركايا . (القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٣٦) .
(٤) الصحاح للجوهرى ج ٢ ص ٤٩ ، والمصباح المنير ج ٢ ص ١٢ ، وأساس البلاغة ص ٥٩٤ ، والتفسير الكبير للفخر الرازى ج ٨ ص ٣٥٣ .

والسر فى تخصيص النازعات بالطامة ، لأن الطم قبل الصخ ، والفزع قبل الصوت ، فكانت هى السابقة ، وخصّت (عبس) "بالصاخة" ، لأنهـــا بعدها ، وهى اللاحقة .[1]

ما المراد "بالطامة الكبرى" ؟ .

المراد "بالطامة الكبرى" : يوم القيامة ، كما سبق أن ذكرنا . وقد تنوعت عبارات المفسرين فى التعبير عن ذلك .

واليك أمثلة علـــى ذلك :

١ ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما : انها اسم من أسماء يوم القيامة .

٢ ـ وقال الحسن : انها النفخة الثانية ، وقد روى هذا القـــول عن ابن عباس أيضـــا .[2]

٣ ـ وقال سفيان : هى الساعة التى يسلم فيها أهل النار الى الزبانية .[3]

ويتبين من هذه الأقوال أن المراد "بالطامة" هو : يـــوم القيامة ، فان النفخة الثانية هى : بداية هذا اليوم ، وان الساعـة التى يسلم فيها أهل النار الى الزبانية هى من أشد ساعات هـــذا اليـــوم .

فالاختلاف بين هذه الأقوال ، انمـا هو من قبيل التنوع فـى

---

(١) أنظر بصائر ذوى التمييز ج ١ ص ٥٠٠ .
(٢) أنظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٥ . (٣) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩٧ .

العبارة فحسب ، وكل هذه الأقوال تؤول الى معنى واحد .

وجواب " اذا " قيل : هو قوله تعالى : (فأما من طغى) على طريقة قوله تعالى : (فاما يأتينكم من هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى .)[1] وقولك : اذا جاءك بنو تميم ، فأما العاصى ، فأهنه وأما الطائع ، فأكرمه .

وقيل : ان الجواب محذوف ، كأنه قيل : فاذا جاءت ، وقع ما لا يدخل تحت الوصف.[2]

يقول العلامة أبو السعود فى هذا المقام : (والذى تستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف ... كان من عظائم الشئون مما لم تشاهده العيون .[3]

وأرى أن هذا القول الأخير هو الذى يناسب المقام ـ والله أعلم .

ثم وصف الله تعالى ذلك اليوم بوصفين :

الأول : قوله تعالى : (يوم يتذكر الانسان ماسعى) .

والثانى : قوله تعالى : (وبرزت الجحيم لمن يرى) .

(٢) أما قوله تعالى : (يوم يتذكر الانسان ماسعى) ، ففى اعرابه أربعة أوجه :

الأول : بدل كل ، أو بعض من " اذا جاءت " .

---

(١) سورة طه ـ الآية (١٢٣) .
(٢) أنظر تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٦ .
(٣) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

والثانى : قيل : بدل من "الطامة الكبرى" ، فيكون مرفوع المحل ، وفتح لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين .

أى يتذكر فيه كل أحد ماعمله من خير ، أو شر بأن يشاهده مدوّنا فى صحيفة أعماله . وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى : (أحصاه الله ونسوه)[1] .

والثالث : أنه منصوب بأعنى على أنه تفسير للطامة الكبرى .

والرابع : قيل : ظرف لجاءت .[2]

وأرجح هذه الأقوال هو الأول ، لأنه الظاهر ، وهو الذى يتبادر الى الذهن .

و "ما" موصولة ، أو مصدرية — أى يتذكر فيه سعيه . وعلى كونها موصولة يكون العائد مقدرا — أى له .

(٣) أما قوله تعالى : (وبرزت الجحيم لمن يرى) . يقال : برّز الشىء تبريزا : اذا أظهره وبينه ، وأصله البراز ، وهو الفضاء الواسع الخالى من الشجر .

وقيل : البراز الصحراء البارزة . ومنه الفعل برز أى حصل فى براز ، وذلك اما أن يظهر بذاته نحو قوله تعالى : (وترى الأرض بارزة)[3] أى ظاهرة .[4] — ومنه قوله تعالى : (وبرزوا لله الواحد القهار .

---

(١) سورة المجادلة — الآية (٦) . (٢) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٥ .
(٣) سورة الكهف الآية (٤٧) ، وكمال الآية (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) .
(٤) مختار الصحاح ص ٤٨ ، والمصباح المنير ص ٢٢ ، ولسان العرب ج ٧ ص ١٤٧ .

و (الجحيم) على وزن فعيل ، تأبير : اسم من أسماء جهنم ، ومعناه في اللغة : النار الشديدة التأجج . وقيل : كل نار بعضهـا فوق بعض ، فهي جحيم ، وجحمة ، وجحمة ، وكل نار عظيمة فـي مهواه ، فهي جحيم ، كما أججوا نارا ابراهيم عليه السلام .

ومنه الفعل جحمها أى أوقدها ، فجحمت جحوما أى عظمت ، وجحمت كعلمت جحما وجحما وجحوما : اضطرمت ، وتوقدت ، وكـثر جمرها ، ولهبها . والجاحم : الجمر الشديد الاشتعال ، والمكـان الشديد الحر ، ومن الحرب معظمها .[1]

وننتهي الكلام على ذلك ببيان أن الجحيم ورد في القرآن الكريم علـى وجهـين :

١ ـ أحدهما : بمعنى النار التي أوقدها نمرود (عليه لعنة الله) للخليل ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) . وذلك في قوله تعالى : (قالوا ابنوا لـه بنيانا فألقوه في الجحـيم)[2] .

٢ ـ وثانيهما : بمعنى النار التي أعدها الله للمجرمين والكفار . بذلك في مثل قوله تعالى : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحـاب الجحيم)[3] ، وقوله تعالى في سورة النازعات : (وبرزت الجحيم لمن يرى)[4]

---

(١) ملخصا من مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٨ ، وبصائر ذوى التميز ج ٢ ص ٣٧٠ ، وتاج العروس للزبيدي ج ٨ ص٢٢٢ .
(٢) سورة الصافات ـ الآية (٩٧) . (٣) سورة الحديد ـ الآية (١٩) .
(٤) سورة النازعات ـ الآية (٣٦) .

فعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة : أظهرت النار المحرقة اظهارا بينا غير خاف على أحد . وهذه الآية معطوفة على قوله تعالى : (جاءت) وقرأ مالك بن دينار (وبرزت الجحيم) مبنيا للفاعل مخففا .[1]

المراد من قوله تعالى : (لمن يرى) ، والقراءة فى ذلك .

(أولا) المراد بـ " من " فى قوله تعالى : (لمن يرى) : كل من كان له بصر كائنا من كان . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى وصفه للجحيم : يكشف عنها تتلظى ، فيراها كل ذى بصر .

وقيل : المراد به : الكافر فقط ، لأنه الذى يرى النار بما فيها من أصناف العذاب ، ولكن الظاهر أنها تبرز لكل الناس ، سواء منهم المؤمن ، والكافر ، الا أنها مكان الكفار ، ومأواهم ، والمؤمنون يمرون عليها .

ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)[2] وكما قيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار .[3]

فان قيل : ان هذا الرأى ينافى قوله تعالى : (وبرزت الجحيم للغاوين)[4] ، لأنه خص الغاوين بتبريزها لهم ، فالجواب على ذلك : أنها

---

(١) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩٨ ، وأبى السعود ج ٥ ص ٢٣٤ ، والألوسى ج ٣٠ ص ٣٥ .
(٢) سورة مريم ـ الآيتان (٧١ـ٧٢) .
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٨ ص ٣٥٣ ، وكذلك فى تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩٨
(٤) سورة الشعراء ـ الآية (٩١) .

برزت للغاوين ، لكى يستقروا فيها . أما المؤمنون فانهم يرونها فقط حين يمرون عليها ، وهم يجاوزون الصراط . اذن فلا منافاة بين قوله تعالى : (وبرزت الجحيم لمن يرى) ، وبين قوله تعالى : (وبرزت الجحيم للغاوين) .

(ثانيا) القراءة فى ذلك . قرأ الجمهور بالياء التحتية ، وقرأ ابن مسعود رضى الله عنهما " لمن رأى " على صيغة الفعل الماضى ، وقرأ عكرمة ، وغيره " لمن ترى " بالتاء الفوقية على أن فيه ضميرا يرجع الى جهنم - أى لمن تراه الجحيم ، كما فى قوله تعالى : (اذا رأتهم من مكان بعيد) .[1]

وقيل : هذا خطاب لسيد المرسلين محمد الأمين صلى الله عليه وسلم - أى لمن تراه يا محمد [من الكفار الذين يؤذونك ولا يسمعون كلامك[2] ، كقوله تعالى : (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)[3] .

(٤ - ٥) ولما وصف الله تعالى حال القيامة وما فيها من الأهوال فى الآيتين السابقتين قسّم المكلفين بعد ذلك الى قسمين : الأشقياء ، والسعداء وبدأ بذكر حال الأشقياء ، فقال سبحانه : (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) .

---

(١) سورة الفرقان - الآية (١٢) .
(٢) أنظر تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣١١ ، وكذلك التفسير الكبير لفخر الرازى ج ٨ ص ٣٥٣ .
(٣) سورة السجدة - الآية (١٢) .

سبب نزول قوله تعالى : (فأما من طغى) ، وما بعده .

قبل أن أقوم بتحليل هذه الآيات يجدر بي أن أذكر بعضا ما ورد في سبب نزولها .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآيتين نزلتا في أبي عزيز بن عمير وأخيه مصعب بن عمير . كان الأول طاغية يؤثر الحياة الدنيا وكان مصعب خائفا مقام ربه ينهى نفسه عن الهوى ، وقد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت السهام في جوفه ، فلما رآه عليه الصلاة والسلام متشحطا في دمه قال : " عند الله أحتسبك " . وقال لأصحابه : " لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما ، وأن شراك نعله من ذهب " . ولما أسر أخوه أبو عزيز ، ولم يشد وثاقه اكراما له ، وأخبر بذلك قال : ما هو لي بأخ شدوا أسيركم ، فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ، ومالا .

وفي الكشاف : أنه قتل أخاه أبا عزيز يوم أحد .[1]

وعن ابن عباس أيضا : أنهما نزلتا في أبي جهل ، وفي مصعب . وقيل : نزلت الأولى في النضر وأبيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان .[2]

وقال السدي : نزلت هذه الآية (وأما من خاف مقام ربه) في

---

(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢١١ . (٢) تفسير الألوسي ج٣٠ ص٣٦ ـ ٣٧ .

أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وذلك : أن أبا بكر كان له غـــلام يأتيه بطعام ، وكان يسأله من أين أتيت بهذا ، فأتاه يوما بطعام ، فلم يسأله ، وأكله ، فقال له غلامه : لم لا تسألنى اليوم ؟ فقال : نسيته فمن أين لك هذا الطعام ؟ فقال : تكهنت لقوم فى الجاهليـــــة ، فأعطونيه ، فتقيأه من ساعته ، وقال : يارب ! ما بقى فى العروق ، فأنت حبسته ، فنزلت : " وأما من خاف مقام ربـه " .

وقال الكلبى : نزلت فيمن هم بمعصية ، وقدر عليها فى خلوة ، ثـم تركها من خوف الله ، ونحوه عن ابن عباس ـ يعنى من خـاف عند المعصية مقامه بين يدى الله ، فانتهى عنها . والله أعلم .(١)

هذا ما ورد فى كتاب التفسير من سبب نزول هذه الآيات ، الا أننا نميـل الى حمل الآيات على العموم ، لأن العبرة بعموم اللفظ ، لابخصوص الســـبب .

يقول العلامة الكبير الفخر الرازى : " منهم مـن قال : المراد بقوله : طغى وآثر الحياة الدنيا النضر وأبوه الحارث ، فان كان المراد : أن هذه الآية نزلت عند صدور بعض المنكرات منهما ، فجيد ، وان كان المـراد تخصيصها بهما ، فبعيد ، لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ولا سيما اذا عرف بضرورة العقل أن الموجب لذلك الحكم هـو الوصـــف المذكـــور . "(٢)

---

(١) تفسير القرطبى ج ٨ ص ٦٩٩٩ . (٢) التفسير الكبير ج ٨ ص ٣٥٤ .

ومن هنا يتضح لنا أن السبب وان كان خاصا ، الا أن اللفظ يعم من كان شأنه ذلك ، لأن قاعدة الأصوليين تقول : " ان العبرة بعمـــوم اللفظ لا بخصوص السبب " . أى أن نزول الآية قد يكون لأمر خاص ، لكن الحكم لا يكون محدودا ، بـل يعـم .

وهذا الذى قلته هنا يتمشى مع كلام الكلبى وابن عباس فـــى تفسير الآية ، وقد سبق ذكر كلامهما منذ قليل .

والآن أبدأ فى تحليل ألفاظ الآية الكريمة ، فأقول :

" الفاء " فى قوله تعالى : (فأما من طغى) لترتيب أحـــوال الناس على قيام الســاعة .

و" أما " بالفتح والتشديد حرف تفصيل تلزم الفاء بعدها : نحـو قوله تعالى : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)[1] ، وكذلك فى الآية التى نحـــن بصددهـــا .

و" من " اسم موصول ، و " طغى " صلتـه .

ومعنى " طغى " قد سبق بيانه فى المبحث الثالث عند قوله تعالى : (اذهب الى فرعون انـه طغى) وقوله تعالى : (وآثر الحيوة الدنيا) معطوف علـــى قوله تعالى : (طغى) .

---

(١) سورة الحاقة ـ الآيات (٤ ، ٥ ، ٦) .

و " آثر " فعل ماض من الايثار ـ أى اختار الشىء وفضلـــه .
يقال : آثره على نفسه ، وآثر الشىء بالشىء خصّـه بـه .[1]

(٦) وقوله تعالى : (فان الجحيم هى المأوى) " الفاء " فى "ان" داخلة علـــى جواب " أمـا " . و " ان " بالكسر والتشديد حرف للتأكيد ، ونفى للانكار ، والشك وتقع فى ابتداء الكلام ، وما فى حكمه ، مثل قوله تعالى : (ان ربى لغفور رحيم)[2] ، وقوله تعالى : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[3] .

واذا اتصلت " ما " بكلمة " ان " تكف عملها ، وتقتضى اثبات الحكم للمذكور ، وصرفه عما عداه ، وهى التى تفيد الحصر ، نحو قوله تعالى : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) ـ أى ما حرم الا ذلك تنبيها على أن أعظم المحرمات مـــــن المطعومات فى أصل الشرع هو هذه المذكورات .[4] وكذلك قوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) ـ أى ما أنت الا منذر من يخشى الساعة وأحوالها ، وما وظيفتك ، الا الانذار ، كما أنه ليست مهمتك ، الا البيان .

وفى اعراب " هى " من قوله تعالى : (هى المأوى) قولان :

١ ـ اما ضمير فصل ، لا محل له من الاعراب .

---

(١) المعجم الوسيط ص ٥ . (٢) سورة هود ـ الآية (٤١) .
(٣) سورة يونس ـ الآية (٦٢) .
(٤) أنظر مفردات القرآن ص ٢٧ ، والمعجم الوسيط ج ١ ص ٣١ ، والآيـة (١٧٢) من ســـورة البقرة .

٢ ـ أو ضمير منفصل فى حالة رفع ، مبتدأ ، خبره ، المأوى » .

و " المأوى " : اسم مكان الذى يؤوى اليه . يقال : أوى المكان واليه يأوى أويا ، واويا ، وماوى : نزله ، وأقام . (من باب ضرب) .

وفى نزول المكان معنى الانضمام والالتجاء ، ومن ذلك قوله تعالى : (اذ أوى الفتية الى الكهف .)[1] ، وقوله تعالى عن ابن نوح عليه السلام : (قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء)[2] . وآواه غير يؤويه ايواء : ضمه ، وأنزله . قال تعالى : (آوى اليه أخاه)[3] ، وقال سبحانه : (تؤوى اليك من تشاء)[4] .

وكل ما يسكن فيه الحيوان ، فهو مأوى . يقال : مأوى الغنم : مراحها الذى تأوى اليه ليلا . ووردت كلمة " مأوى " فى قوله تعالى : (مأواهم جهنم)[5] ، وقوله سبحانه : (فان الجحيم هى المأوى) اسما للمكان الذى يأوى اليه الكفار ، والمجرمون[6] .

و"أل" فى (المأوى) عوض عن المضاف اليه ، والتقدير مأواه . هذا عند الكوفيين ، وعند البصريين ، فان التقدير : هى المأوى (له) .

وانفرد العلامة الكبير فخر الدين الرازى فى هذا المقام فيقول :

---

(١) سورة الكهف ـ بعض الآية (١٠) ، وكمالها (.... فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا) .
(٢) سورة هود ـ الآية (٤٣) . (٣) سورة يوسف ـ الآية (٦٩) .
(٤) سورة الأحزاب ـ الآية (٥١) . (٥) سورة الاسراء ـ الآية (٩٧) .
(٦) أنظر مفردات القرآن ص ٣٤ ، والمصباح المنير ص ١٧ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٧٠ .

(وعندى وجه آخر وهو : أن يكون التقدير فان الجحيم هى المأوى اللائق بمن كان موصوفا بهذه الصفات والأخلاق)[1]

وأما الزمخشرى ، فيقول : فى هذا الصدد :

وحسن عدم ذكر ذلك العائد كون الكلمة وقعت فاصلة ، ورأس آيـــة[2] .

فعلى ضوء المعانى المفردات التى ذكرتها آنفا يكون معنى الآية الكريمة : فأما من جاوز الحد فى الكفر ، والمعاصى ، وفضل الحيـاة الدنيا بما فيها من متع زائلة على ثواب الله ، ونعمه فى الآخرة ، فان النار الشديدة التوقد ، انما هى تكون مقره ، ومنزله الذى يأوى اليه .

(٧ ــ ٨) بعد ما ذكر الله تعالى حال الأشقياء فى القيامة أتبعها بحـال السعداء ، فقال جل ذكره : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) .

والآن نبدأ فى تحليل ألفاظ هاتين الآيتين ، فنقول :

" الواو " عاطفة ، و" أمـا " حرف تفصيل . و " من " شرطيـة أو موصولة . و " خاف " مشتق من الخوف ، وهو : توقع مكروه عـن أمـارة مظنونة ، أو معلومة ، كما أن الرجاء ، والطمع توقع محبوب عـن أمـارة مظنونة ، أو معلومة ، ويضاد الخوف الأمن ، ويستعمل ذلك فى الأمور

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٨ ص ٣٥٤ .
(٢) تفسـير الكشاف ج ٣ ص ٣١٢ .

الدنيوية ، والأخروية[١] قال تعالى : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه)[٢] .

والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب ، كاستشعار الخوف من الأسد ، بل انما يراد به الكف عن المعاصي ، واختيار الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا[٣] .

و " المقام " باعتبار الصياغة اللفظية اما مصدر ميمي بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام ، أو اسم زمان بمعنى وقت القيامة .

ويراد به في الآية الكريمة : المصدر ، وفي ذلك عدة أقوال ، وهي كما يلي :

١ ـ قيام العبد بين يدي ربه عز وجل يوم الجزاء .

٢ ـ قيام الله على عبده باحصاء ما اكتسب[٤] .

٣ ـ وقال بعضهم يجوز أن يكون لفظ " مقام " مقحما ، والمراد وأما من خاف ربه سبحانه .

فالكلام هنا جاء على سبيل الكناية ، فهو اثبات للخوف من الرب عز وجل بطريق برهاني بليغ ، نظير ما قيل في قوله تعالى : (أكرمي مثواه)[٥] .

والقول الأول هو الأولى بالقبول عندي ، ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس ومقاتل في تفسير هذه الآية ، وقوله تعالى : (ونهى النفس

---

(١) مفردات القرآن ص ١٦١ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٢) سورة الاسراء ـ الآية (٥٧) . (٣) مفردات القرآن ص ١٦٢ .

(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٨ ص ١١٩ .

(٥) تفسير الألوسي ج ٣٠ ص ٣٦ ، والآية (٢١) من سورة يوسف .

عن الهوى) " أنه الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر مقامه للحساب بين يدى ربه سبحانه ، فيخاف فيتركها "[١] .

أما الاضافة فى قوله تعالى : (مقام ربه) فهى اضافة لامية اختصاصية ، لأن الملك لله عز وجل وحده فى هذا اليوم بحسب نفس الأمر ، والخلق قائمون له ، كما قال سبحانه : (يوم يقوم الناس لرب العالمين)[٢] .

وقوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) معطوف على قوله تعالى : (خاف) .

و " نهى " يقال : نهاه عن الشىء نهيا فهو ناه وهم ناهون : أى ـ زجره عنه . قال تعالى : (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى)[٣] وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول ، أو بغيره ، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة " أفعل " ، نحو اجتنب كذا ، أو بلفظة " لا تفعل " .

ومن حيث اللفظ هو قولهم : لا تفعل كذا ، فاذا قيل : لاتفعل كذا ، فنهى من حيث اللفظ ، والمعنى جميعا ، نحو : (ولا تقربا هذه الشجرة)[٤] ، ولهذا قال : (ماتهاكما ربكما عن هذه الشجرة)[٥] .

---

(١) نفس المرجع .
(٢) سورة المطففين ـ الآية (٦) .
(٣) سورة العلق ـ الآية (٩) .
(٤) سورة البقرة ـ الآية (٣٥) ، وسورة الأعراف ـ الآية (١٩) .
(٥) سورة الأعراف ـ الآية (٢٠) .

أما قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) ، فانه لم يحسن أن يقول لنفسه : لا تفعل كذا ، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعت اليه ، وهمّت به ، وكذا النهى عن المنكر يكون تارة باليد وتارة باللسان ، وتارة بالقلب[1] .

أما النفس فتجيء لمعان كثيرة ، منها :

١ ــ ذات الشيء ، وحقيقته .

٢ ــ والروح التى بها الحياة[2] .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لكل انسان نفسان : احداهما : نفس العقل ــ الذى يكون به التمييز ، والأخرى : نفس الروح الذى به الحياة .

وقال أبو بكر بن الأنبارى : من اللغويين من سوّى النفس والروح وقال : هما شيء واحد ، الا أن النفس مؤنثة ، والروح مذكر[3] .

٣ ــ والنفس : معنى فى الانسان يوجهه الى أفعاله من الخير والشر . يقال : أمرتنى نفسى ، وسولت لى نفسى فعل السوء .

اذن فالمراد بالنفس فى الآية الكريمة من سورة النازعات : ما فى الانسان مما يدعوه الى الشرّ ، أو بمعنى أصحّ " النفس الأمارة بالسوء " .

وهذا الاستعمال معروف فى كلام الله عز وجل ، حيث قال :

---

(١) أنظر مفردات القرآن ص ٥٠٧ . (٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٥٤٩ .
(٣) لسان العرب ج ٨ ص ١٢٠ .

(وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء) ، وفي كلام العرب . وقد أنشدوا لابن المبارك :

العبد عبد النفس في شهواته * والحر يشبع تارة ويجوع[1] .

أما كلمة " الهوى " ، فهي بمعنى الميل ، وأكثر ما يستعمل الهوى في الميل الى الباطل ، وما ليس بحق ، ولا سيّما اذا تكلم بالهوى مطلقا فلم يكن الا مذموما ، حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم : هوى حسن ، وهوى موافق للصواب .

فيكون معنى قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) نهاها عن شهواتها ، وما تدعو اليه من سوء وشر ، ويجمع الهوى على الأهواء .

أما تسميته بذلك ، فهو لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية ، وفي الآخرة الى الهاوية .

والفعل منه هويه يهواه هوى فهو هو : اذا أحبّه ، ومال اليه يقال : هويت الشيء وهويته نفسي[2] .

وقوله تعالى : (فان الجنة هي المأوى) الفاء واقعة في جواب أما .

وأصل الجن تستر الشيء عن الحاسة . يقال : جنّه الليل ، وأجنّه ، وجن عليه : اذا أظلم ، حتى يستره بظلمته . قال تعالى :

---

(١) أنظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٥٥٠ ، ولسان العرب ج ٨ ص ١٢٠ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٦١٦ ، ومفردات القرآن ص٥٤٨ ، ولسان العرب ج ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) أى ستره ، واستجن فلان : اذا استتر بشيء ، فسمى الجن (بكسر الجيم) جنًا لاستتارهم ، واختفائهم عن الأبصار ، ومنه سمى الجنين لاستتاره فى بطن أمه .

فالجنة : هى كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الأرض . قال الله عز وجل : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال)[1] .

والمراد بالجنة فى هذه الآية الكريمة دار النعيم التى أعدها الله للمتقين فى الدار الآخرة وذلك لتكاثف أشجارها ، وتظليلها بالتفاف أغصانها .

ويمكن أن نقول : انها سميت بالجنة (وهى المرة الواحدة من مصدر جنّه جنًا : اذا ستره) ، فكأنها سترة واحدة ، لشدة التفافها ، وانظلالها[2] .

كما أنه لا يبعد القول بأنها سميت لستر نعمها هنا[3] ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)[4] .

وكما ورد فى الحديث النبوى عليه الصلاة والسلام عن نعم الله فى الجنة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

---

(١) سورة سبأ ـ الآية (١٥) .
(٢) (انتهى بتصرف وتلخيص من) تهذيب اللغة للأزهرى ج ١٠ ص ٥٠١ ، ومفردات القرآن ص ٩٨ ، ولسان العرب ج ١٦ ص ٢٥٣ .
(٣) أنظر مفردات القرآن ص ٩٨ . (٤) سورة السجدة ـ الآية (١٧) .

وسلم قال : (قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .)[1] .

فعلى ضوء معاني المفردات يكون معنى قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى .) وأما من خاف قيامه بين يدي الله تعالى يوم القيامة الكبرى – يوم الجـــزاء ، والحســاب – وزجر نفسه عما تهواه ، وتميل اليه من المعاصي ، والمحارم ، فان الجنـة لـه مسـتقر ومقـــام .

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٧٤ ، كتـاب الجنـة ، وصفة نعيمها وأهلها ، ورقـم الحديث ٢٨٢٤ .

(المعنى الاجمالى)

ان من شأن يوم القيامة أنه حين يقام يفر فيه المرء من أخيه ، وأمه ، وأبيه ، وصاحبته ، وبنيه ، ويتذكر الانسان يومئذ بأعماله ، حيث يراها مكتوبة أمامه فى كتاب لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا أحصاها أما الجحيم ، فان الناس يرونها بلهيبها ، وتأججها يوم القيامة .

والناس يوم القيامة فريقان : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

فأما من تمادى فى الكفر ، والتمرد ، وفضل شهوات الدنيا ، ولذاتها على طاعة الله ، وثواب الآخرة ، فان نار جهنم هى مستقره ، ومثواه .

وأما من خاف الوقوف بين يدى الله العزيز الجبار للحساب يوم القيامة الكبرى ، وزجر نفسه عن اتباع شهواتها المهلكة ، ورغباتها المذمومة ، فالجنة انما هى مقامه ، ومأواه .

ان الله سبحانه ، وتعالى قد وصف أهل الجنة ، وأهل النار هنا بشيئين متقابلين : أما أهل الجنة ، فقد وصفهم الله سبحانه ، وتعالى بوصفين عظيمين هما : الخوف من الله ، ونهى النفس عن الهوى .

وأما أهل النار ، فقد وصفهم الله جل شأنه بوصفين مغايرين ، وهما الطغيان ، وايثار الحياة الدنيا .

وشتان بين ما وصف الله به أهل الجنة ، وبين ما وصف الله به أهل

النـــار .

والخوف من الله تعالى أساس كل خير ، وملاك كل فضيلة ، ومـــن ثـم أمر الله تعالى عباده بـه ، فقال : (وخافون ان كنتم مؤمنين)[1] .

وقـد مدح ذوالنون المصرى الخوف فقال : الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف ، فان زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق .

وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شيء هرب منـه ، ومن خـاف من الله عز وجل هرب اليـــه .

وقال حاتم الأصم : لكل شيء زينـة ، وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخـوف قصـر الأمـل .[2]

---

(١) سورة آل عمـران ـ الآيـة (١٧٥) .
(٢) الرسالة القشيرية ص ٦٥ ـ ٦٦ .

((ما يستنبط من الآيات))

١ – وجوب الايمان باليوم الآخر لأنه آت لا محالة .

٢ – وجوب امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى ، واجتناب نواهيه ، والسعى لذلك ، لأن كل انسان سيرى يوم القيامة صحيفة عمله ، وسمعه ، وسيحاسبه الله تعالى بمقتضاها .

٣ – وجوب الايمان بأن الجنة ، والنار حق .

٤ – عدل الله سبحانه وتعالى فى الجزاء ، فالكافر الذى طغى ، وتجاوز حده ، وآثر الدنيا على الآخرة ، واتخذ هواه الها معبودا يكون مصيره جهنم ، وبئس المصير .

وأما المؤمن الذى خاف الله عز وجل ، ونهى نفسه عن المعصية ، فيكون جزاؤه ، جنات النعيم ، حسنت مستقرا ، ومقاما .

المبحث السادس

((البحث السادس))

" سؤال الرسول

صلى الله عليه وسلم

عن

الساعة "

النص القرآني

الذي

تدور حوله الدراسة

في

المبحث السادس

قال الله تعالى : ((يسئلونك عن الساعة أيان مرساها • فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها • انما أنت منذر من يخشاها • كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها •)) •

((الآيات من (٤٢) الى (٤٦)))

تمهيـــد :

وقد يكون من المناسب ههنا أن أتكلم بايجاز عن الساعة ، وسـؤال المشركين النبى صلى الله عليه وسلم عنها ، قبل أن أبدأ فى تحليل الآيات فى هذا المبحث ، وذلك وفق المنهج الذى سلكناه فيما سبق من تفسـير آيات هذه السورة الكريمة .

حدد القرآن الكريم موقف المشركين من النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم ، حين دعاهم عليه الصلاة والسلام الى الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه مـن ثواب ، وعقاب ، فبين أن المشركين لم يسدوا آذانهم ، ولم يغلقوا قلوبهم ، فحسب ، وانما صدّوا غيرهم عن الايمان بما يدعوهم اليه النبى صلى اللـه عليـه وسـلم .

ولقد صور الله تعالى موقفا من مواقف المشركين ، فقال : (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيـه لعلكم تغلبون)[1]

ثم انطلق المشركون يستهزءون بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وينكـرون عليه قوله ويطلبون منه نزول العذاب عليهم ، ولقد سجّل الله قولهم هـذا فقال : (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)[2] ، كما قال فى آيـة أخرى : (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينـا

---

(١) سورة فصلت ـ الآية (٢٦) . (٢) سورة الملك ـ الآية (٢٥) .

حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)[١] ، بل كانوا يلحون فى السؤال استعجالا لنزول العذاب ، واستهزاء بالنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد ذكر الله تعالى سؤالهم ذلك ، فقال : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها)[٢] ، كما وردت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الصدد ، ومن ذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم ، من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن مشركى أهل مكة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : متى تقوم الساعة ؟ استهزاء منهم به ، فأنزل الله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها .)[٣]

وهناك آيات ثلاث فى القرآن الكريم تحدثنا عن الساعة ، وتتشابه الى حد كبير من حيث السؤال ، والجواب .

الآية الأولى من سورة الأعراف ، وهى قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات ، والأرض لا تأتيكم الا بغتة ، يسألونك كأنك حفى عنها

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية (٣٢) .

(٢) سورة الأعراف ـ بعض الآية (١٨٧) ، وكمالها (.... قل إنما علمها عند ربى . لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها . قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، وسورة النازعات ـ الآية (٤٢) .

(٣) أسباب النزول لجلال الدين السيوطى ص ١٧٨ـ١٧٩ ، والآيات (٤٢ـ٤٦) من سورة النازعات .

قل انما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[1] .

والآية الثانية من سورة الأحزاب ، وهى قوله تعالى : (يسئلك الناس عن الساعة . قل انما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا .)[2]

والآية الثالثة ، وهى آية النازعات الثانية والأربعون ، وما بعدها ، وهى قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراهـا . الى ربك منتهاهـا .)[3] .

وأما لفظ " الساعة " ، فقد ورد فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة ، فتارة تذكر الساعة فى القرآن الكريم معرفة ، وتارة تذكر منكرة .

وقد شرح صاحب المنار السر فى مجيئها تارة معرفة ، وتارة منكـرة ، فقال : " الصواب أنها استعملت فى القرآن الكريم بمعنى الساعة الزمانيـة ، ومعرفة بالألف واللام العهدية بمعنى الساعة الشرعية ، وهى ساعة خراب هذا العالم ، وموت أهل الأرض ، وجمع بينهما فى قوله تعالى : (ويـوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير سـاعة)[4] .

والغالب فى استعمال القرآن التعبير بيوم القيامة عن يوم البعـث ، والحشر الذى يكون بعد الموت ، والذى يكون فيه الحساب ، وما يتلـوه من الجزاء . والتعبير بالساعة عن الوقت الذى يموت فيه الأحياء فى هـذا

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية (١٨٧) (٢) سورة الأحزاب ـ الآية (٦٣) .
(٣) سورة النازعات ـ الآية (٤٢) ، وما بعدهـا .
(٤) سورة الروم ـ الآية (٥٥) .

العالم ، ويضطرب نظامه ، ويخرّب بما يكون فيه من الأهوال تتلو بعضها بعضا ، فالساعة هي البدأ ، والقيامة هي الغاية ، ففي الأولى الموت ، والهلاك وفي الآخرة البعث والجزاء . وبعض التعبيرات في كل منهما يحتمل حلوله محل الآخر في الغالب»[1] .

وانني أميل الى هذا الرأى الذى ذكره صاحب المنار ، فقد فرق بين استعمال الكلمة نكرة ، واستعمالها معرفة ، واستمد ذلك من القرآن الكريم ، حين استدل بقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة .)[2] .

بقي هنا سؤال يتردد على كثير من الألسنة ، وهو : لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى وقت الساعة ؟ .

والجواب على ذلك : أن الله تعالى قد استأثر بعلم أشياء لم يطلع عليها رسولا ، ولا ملكا ، ولا أحدا من خلقه . ومن هذه الأشياء علم الساعة ، وانزال الغيث من السماء ، وعلم ما في الأرحام ، وما يكسبه الانسان في غده ، والأرض التي يموت بها .

ويلاحظ أن هذه الأشياء التي اختص الله بعلمها عبر عنها بطريق القصر ، فقال تعالى : (ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس

---

(١) تفسير المنار ـ ج ٩ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .
(٢) سورة الروم ـ الآية (٥٥) .

بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير ،)[١] .

والذى يتتبع القرآن الكريم فى حديثه عن الساعة يجد أنه أخبر عنها بأنها تأتى بغتة ، كما جاء فى آياته المتحدثة عن الساعة ، ومنها قوله تعالى : (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ، وهم لا يشعرون)[٢]

وقد جاء فى صحيح البخارى : عن أبى هريرة رضى الله عنه " ولتقومن الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ، ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته[٣] فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة ، وهو يليط حوضه ، فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة ، وقد رفع أحدكم أكلته الى فيه ، فلا يطعمها " [٤] .

وقد ذكر الشيخ الألوسى الحكمة من اخفاء الساعة ، فقال : " وانما أخفى سبحانه أمر الساعة ، لاقتضاء الحكمة التشريعية - ذلك ، فانه أدعى الى الطاعة ، وأزجر عن المعصية ، كما أن اخفاء الأجل الخاص للانسان كذلك ، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضى ذلك أيضا لم يبعد "[٥] .

كما وضح صاحب المنار الحكمة من اخفاء الساعة ، فقال عند تفسير آية الأعراف (قل انما علمها عند ربى)[٦] . " قل أيها النذير ! ان علم

---

(١) سورة لقمان - الآية (٣٤) . (٢) سورة الزخرف - الآية (٦٦) .
(٣) اللقحة : الناقة ذات الدر . والناقة الحلوب الغزيرة اللبن - (أقرب الموارد ج ٢ ص ١١٥٤) .
(٤) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٣٢ كتاب الرقاق ، ورقم الباب ٤٠ ، ورقم الحديث ٦٠٥٦ (فتح البارى ج ١١ ص ٣٥٢)
صحيح البخارى ج ٩ ص ٧٤ كتاب الفتن ، رقم الباب ٢٥ ، ورقم الحديث ٧١٢٠ (فتح البارى ج ١٣ ص ٨١)
(٥) تفسير الألوسى ج ٩ ص ١٣٤ . (٦) أنظر سورة الأعراف - الآية (١٨٧)

الساعة عند ربى وحده ، وليس عندى ، ولا عند غيرى من الخلق شىء منه وهذا يدل عليه لفظ " انما " من الحصر ، كما قال تعالى فى الآية التى فسر بها النبى صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام)[1] ـ أى عنده ، لا عند أحد سواه ، ومثله قوله تعالى : (اليه يرد علم الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها) ـ أى يرد اليه وحده ، لا الى غيره .

وما أمره الله سبحانه وتعالى أن يجيب به فى قوله : (قل انما علمها عند ربى) من سورة الأعراف هو ما أخبر به فى قوله سبحانه : (الى ربك منتهاها) من سورة النازعات ، وفيه ايذان بأن ما هو من شأن الرب لايكون للعبد ، فهو تعالى قد بعثه ، ليكون منذرا ، ومبشرا ، لا للاخبار عن الغيوب بأعيانها ، وأوقاتها ، والانذار انما يناط بالاعلام بالماهية ، وأهوالها ، والنار ، وسلاسلها ، وأغلالها ، ولا تتم الفائدة منه الا بابهام وقتها ، ليخشى أهل كل زمن اتيانها فيه ، والاعلام بوقت اتيانها ، وتحديد تاريخها ينافى هذه الفائدة ، بل فيه مفاسد أخرى .

فلو قال الرسول ان الساعة تأتى بعد ألفى سنة من يومنا هذا ، مثلا ـ وألفا سنة فى تاريخ العالم ، وآلاف السنين تعد أجلا قريبا لرأى المكذبين يستهزؤون بهذا الخبر ، ويلحون فى تكذيبه ، والمرتابين يزدادون ارتيابا ، حتى اذا ما قرب الأجل وقع المؤمنون فى رعب عظيم

---

(١) سورة لقمان ـ الآية (٣٤) .

ينغص عليهم حياتهم ، ويوقع الشلل فى أعضائهم ، والتشنج فى أعصابهم ، حتى لا يستطيعون عملا ، ولا يسيغون طعاما ولا شرابا ، ومنهم من يخرج من ماله ، وما يملكه ، من حيث يكون الكافرون آمنين يسخرون من المؤمنين وقد وقع فعلا أوهما أن أخبر بعض رجال الكنيسة الذين كان يقلدهم الجمهور بأن القيامة تقوم فى سنة كذا ، فهلعت القلوب ، واختلت الأعمال وأهمل أمر العيال ، ووقف المصدقون ما يملكون على الكنائس ، والأديار ، ولم تهدأ الأنفس ، ويثوب اليها رشدها ، الا بعد ظهور كذب النبأ بمجيء أجله دون وقوعه .

فالحكمة البالغة اذا فى ابهام أمر الساعة العامة للعالم ، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس ، أو بالأمم ، والأجيال ، وجعلها من الغيب الذى استأثر الله تعالى به[1] .

---

(١) الى انتهى بتصرف) من تفسير المنار ج ٩ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

مناسبة الآيات لما قبلها ، وسبب النزول .

بعد ما ذكر الله تعالى امكان البعث ، ووجود القيامة بأساليب شتى ، بأسلوب القسم تارة ، وبأسلوب الرد على المنكرين تارة أخرى ، ثم بالتهديد والانذار بذكر قصة فرعون ، وهلاكه ، ثم بذكر بعض مظاهر القدرة الالهية التي تقضي بأن من يقدر على خلق السماوات ، وما فيها ، وخلق الأرض ، وما فيها ، يكون قادرا على اعادة الانسان للحياة مرة أخرى ، لينال جزاءه ، على ما قدمت يداه .

وبعد ما ذكر وقوع البعث بالفعل ، وبين أحوال الفريقين ، ووزع جزاءهم بمقتضى أعمالهم في الدنيا — بعد هذا كله — ذكر الله ما عليه المشركون في الدنيا من عدم الايمان بالبعث ، والاستهزاء به ، فقال : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) .

وقد ربط العلامة الكبير فخر الدين الرازي بين الآيات التي نحن بصددها ، وبين ما سبقها من الآيات ، فقال : " اعلم أنه تعالى لما بين بالبرهان العقلي امكان القيامة ، ثم أخبر عن وقوعها ، ثم ذكر أحوالها العامة ، ثم ذكر أحوال الأشقياء ، والسعداء فيها ، قال تعالى : (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) ، واعلم أن المشركين كانوا يسمعون اثبات القيامة ، ووصفها بالأوصاف الهائلة ، مثل أنها " طامة " و " صاخة " و " قارعة " ، فقالوا على سبيل الاستهزاء (أيان مرساها)[1].

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ ص ٣٥٤ .

بعد أن انتهينا من ذكر المناسبة التي توسط بين قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ، وبين الآيات التي تقدمت ، حسن لنا الآن أن نذكر ما ورد في سبب نزول هذه الآيات .

أخرج الحاكم ، وابن جرير عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عن الساعة ، حتى نزلت (فيم أنت من ذكراها .) (الى ربك منتهاها .)[1]

وأخرج الحاكم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة ، ويكثر من ذكرها ، حتى نزلت (فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) ، فكف عن ذكرها ، ولم يسأل عنها .[2]

وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مشركي أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا متى تقوم الساعة ؟ استهزاء منهم به ، فأنزل الله : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) والى قوله تعالى : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها .)[3] .

---

(١) قال الحاكم في صحة هذا الحديث: انه لم يخرج في الصحيحين ، وهو محفوظ صحيح على شرطهما معا بأحاديث " ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها " ـ (المستدرك للحاكم ج ١ ص٥ ، وج ٢ ص٥١٢) ، وتفسير الطبري ج ٣٠ ص٤٩ ، وأسباب النزول لجلال الدين السيوطي ص١٧٨ .

(٢) أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين ـ تأليف عبد الفتاح القاضي .

(٣) أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ص١٧٨ ـ ١٧٩ ، وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٧٠٠٠ .

ومن هذه الروايات يتبين لنا أن سبب نزول قوله تعالى: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) الآيات ، انما هو سؤال المشركين عن الساعة - الذى كانوا يتوجهون به بين حين ، وآخر الى الرسول صلى الله عليه وسلم - فجاءت هذه الآية ، وما بعدها بمثابة اجابة من قبل الله تعالى على سؤالهم .

" الدراسة التحليلية

من حيث

اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة . "

---

(١) قوله تعالى : (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) .

" يسألونك " يقال : سأل عن شيء يسأله سؤالا ، ومسئلة : اذا استخبره عنه ، وطلب منه معرفته .

قال ابن برى : سألته الشيء بمعنى استعطيته اياه ، كما قال سبحانه : (ولا يسألكم أموالكم)[1] وسألته عن الشيء استخبرته .[2]

والمراد بالسؤال هنا ـ في هذه الآية : الاستعلام ، لا الاستعطاء .

وأما " الساعة " فقد قال صاحب لسان العرب : " الساعة " جزء من أجزاء الليل والنهار ، والجمع ساعات ، وساع .

قال القطامي :

وكنا كالحريق لدى كفاح[3] * فيخبو ساعة ويهب ساع .

---

(١) سورة محمد ـ الآية (٣٦) . (٢) لسان العرب ـ ج ١١ ص ٣١٩ .
(٣) كافحه مكافحة ، وكفاحا : واجهه ، وقال الأصمعي : كافحوهم : اذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ، ليس دونها ترس ، ولا غيره . (أقرب الموارد ج ٢ ص ١٠٩٠) . خبت النار ، و ـ الحرب تخبو خبوا ، وخبوا (من باب نصر) سكنت ، وخمدت ، وطفئت . (انتهى من أقرب الموارد) هبت الريح هبوبا (من باب نصر) ثارت ، وهاجت ، فهي هابة . (أقرب الموارد)

والمراد بها فى القرآن الكريم هو : يوم القيامة . قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)[1] .

وقال الزجاج : الساعة اسم للوقت الذى يصعق فيه العباد ، والوقت الذى يبعثون فيه ، وتقوم فيه القيامة ، سميت ساعة ، لأنها تفجأ الناس فى ساعة ، فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى - التى ذكرها الله عز وجل - فقال : (ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون)[2] .

ثم قال صاحب اللسان : انه تكرر ذكرها فى القرآن ، والحديث وأنها تطلق فى الأصل بمعنيين :

أحدهما : أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا وهى مجموع اليوم ، والليلة .

والثانى : أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار ، أو الليل . يقال: جلست عندك ساعة من النهار - أى وقتا قليلا منه ، ثم استعير لاسم يوم القيامة .

قال الزجاج : معنى الساعة فى كل القرآن الوقت الذى تقوم فيه القيامة . يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم ، فلقلة الوقت الذى تقوم فيه سماها ساعة .[3]

---

(١) سورة الروم - الآية (٥٥) . (٢) سورة يس - الآية (٢٩) .
(٣) لسان العرب - ج ١٠ ص ٣٣ - ٣٤ .

فعلى هذا يكون المراد بالساعة فى قوله تعالى : (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) الساعة التى يختل فيها نظام الكون فيصير الى خراب ، ويموت جميع الخلق وما هى ، الا القيامة .

و " أيان " ظرف زمان للمستقبل ، ومعناها : " متى " ؟ ، كما قال الزمخشرى : " أيان ترجع بمعنى : متى . " [1]

وفى مختار الصحاح : " أيان " معناه : أى حين ، وهو سؤال عن زمان ، مثل متى ـ وهناك لغة فيها بالكسر ـ أى ايان ، وقرأ بها السلمى (ايان يبعثون)[2]

و " مرسى " يقال : للمصدر ، والمكان ، والزمان ، والمفعول من أرسى السفينة يرسيها ارساء : اذا جعلها تثبت ، ولا تسير . فالمرسى مصدر أرسى بمعنى : تثبت ، أو هو بمعنى : المنتهى ، والمستقر .[3]

ففى هذا قولان :

(١) أحدهما : متى ارساؤها ـ أى اقامتها . أرادوا متى يقيمها الله ، ويوجدها .

(٢) والثانى : أيان منتهاها ، ومستقرها ، كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه .[4]

---

(١) أساس البلاغة ـ ص ٢٨ .
(٢) مختار الصحاح ـ ص ٣٦ ، والآية (٢١) من سورة النحل ، و (٦٥) من سورة النمل .
(٣) مفردات القرآن ص ١٩٦ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٤٨٢ .
(٤) التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ج ٨ ص ٣٥٤ .

ويتساءل الفراء عند هذه الآية (أيان مرساها) سؤالا وهو :

انما الارساء للسفينة ، والجبال ، وما أشبههن ، فكيف وصفت الساعة بالارساء ؟ ، ثم يجيب عليه بقوله : هى (أى القيامة) بمنزلة السفينة اذا كانت جارية فرست ، ورسوّها : قيامها ، وليس قيامها كقيام القائم على رجله ، ونحوه ، انما هو كقولك : قد قام العدل ، وقام الحق ، أى ظهر وثبت .[1]

وأما الاعراب فان أيان فى محل رفع على أنها خبر مقدم . ومرساها : مبتدأ مؤخر ، وهذه الجملة فى محل النصب على أنها مفعول به لقول محذوف وقع حالا من ضمير " يسئلونك " — أى يسئلونك قائلين أيان مرساها .

وقيل : هى فى محل الجر على البدلية من الساعة[2].

(٢ — ٣ — ٤) وبعد ما ذكر الله تعالى سؤال المشركين لرسوله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، أتبع ذلك بما هو جواب على سؤالهم ، فقال : (فيم أنت من ذكراها ، الى ربك منتهاها) .

أخرج عبد بن حميد ، والنسائى ، وغيرهما عن طارق بن شهاب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكر الساعة ، حتى نزلت (فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها .) ، فكف عنها .[3]

---

(١) معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٣٤ . (٢) تفسير الألوسى ج ٩ ص ١٣٢ .
(٣) أنظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٣٧٠ ، وتفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٨ .

قال العلامة الألوسى بعد ذكر هذا الحديث: وعلى هذا فهو تعجيب من كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم لها ، كأنه قيل : فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها . والمعنى : أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها ، وتسأل عنها . انتهى .

بعد ذلك نتعرض فى هذا المقام لمعانى المفردات ، واعرابها ، فأول ما نبحث عن معناه هو كلمة " ما " ، وهى تأتى لعدة معان ، منها :

١ ـ أن تكون موصولة بمعنى : الذى ، نحو قوله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)[١] .

٢ ـ وأن تكون مصدرية ، نحو قوله تعالى : (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت)[٢] أى برحبها .

٣ ـ وأن تكون استفهامية ، ويسأل بها عما لا يعقل ، وهى التى وردت فى قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها)[٣] .

ويجب حذف ألف (ما الاستفهامية) وابقاء الفتحة اذا سبقت بحرف جر .[٤] نحو قوله تعالى : (لم تقولون ما لا تفعلون)[٥] والآية التى نحن بصددها .

---

(١) سورة النحل ـ الآية (٩٦) .
(٢) سورة التوبة ـ بعض الآية (٢٥) ، وكمالها (.... ثم وليتم مدبرين) .
(٣) سورة النازعات ـ الآية (٤٣) .
(٤) مغنى اللبيب ج ٢ ص٢ وما بعدها ، والمعجم الوسيط ج ٢ ص ٨٥٧ .
(٥) أنظر سورة الصف ـ الآية (٢) .

و " ذكرى " : مصدر من ذكر الشيء يذكره ذكرا ، وذكـــرا ، وذكرى ، وتذكارا : حفظه ، واستحضره . قال الفراء : يكون الذكـــرى بمعنى : الذكر ، ويكون بمعنى التذكر في قوله تعالى : (وذكر فـــان الذكرى تنفع المؤمنين) . وقال الراغب : الذكرى كثرة الذكر ، وهـو أبلغ من الذكر [1] قال تعالى : (رحمة منا وذكرى لأولى الألباب .)[2]

وجاءت كلمة " ذكرى " في قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها) في سورتنا هذه بمعنى : استحضار القيامة ، والاخبار بوقتهـــا ، واعـلامهم بها . وسنزيد هذا المعنى وضوحا بما قريب و " منتهـى " مصدر ميمي بمعنى : الانتهاء من انتهى الأمر ينتهي انتهاء : اذا بلغ النهاية .[3] فمعنى قوله تعالى : (الى ربك منتهاها) أي انتهاء علمهـــا .

وجهان في قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها) .

ويجدر بي هنا أن أذكر وجهين قالهما المفسرون في معنى قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها) ثم أبين معنى قوله تعالى : (الى ربك منتهاها) ، وقوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) على كل من الوجهين .

الوجه الأول : ان قوله تعالى (فيم أنت من ذكراها) معناه في أي

(١) المعجم الوسيط ص ٣١٣ ، ولسان العرب ج ٥ ص ٣٩٥ ، ومفـردات القرآن ص ١٧٩ .
(٢) أنظر سورة ص ـ الآية (٤٣) . (٣) المصباح المنير ج ٢ ص ١٢٩ .

شيء أنت (يامحمد) من أن تذكر وقتها لهم ، وتعين ذلك الزمان المعين لهم ، ونظيره قول القائل اذا سأله رجل عن شيء لا يليق به : " ما أنت وهذا " ، و " أى شيء لك فى هذا " .

وخلاصة القول أن المعنى : لا تشغل نفسك أيها النبى بذلك ، ولا تعط اهتماما بسؤالهم عن الساعة ، لأنه لا علم لك بوقت قيامها ، وانما هو أمر قد استأثر الله تعالى بعلمه . فعلى هذا الوجه يكون معنى قوله تعالى : (الى ربك منتهاها) اليه تعالى انتهاء علمها ، ليس لأحد منه شيء ما كائنا من كان ، فلأى شيء يسئلونك عنها .

وأما قوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) فيكون تقريرا لما قبله من قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها) ، وتحقيقا لما هو المراد منه ، وبيانا لوظيفته صلى الله عليه وسلم فى ذلك الشأن .

وبيان ذلك : أنه لما كان قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها) مما يوهم بظاهره أنه ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه ، فقد أزيح هذا الوهم ببيان أن المنفى عنه - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - هو ذكرها لهم بتعيين وقتها ، حسبما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عنها - فالمعنى : انما أنت منذر من يخشاها ، ويخاف أهوالها ، ووظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها ، وتفصيل ما فيها من فنون الأهوال ، كما تحيط به . وليس من وظيفتك أن تعلم الناس بتعيين وقتها - الذى لم يفوض اليك ، فما لهم يسألونك عما لم تهتد له ، ولم يفوض اليك أمره .

والوجه الثاني : ان قوله تعالى : " فيم " انكار لسؤالهم ، وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار ، وبيان لبطلان السؤال ـ أي فيم هذا السؤال ؟ .

ثم ابتدئ ، فقيل : " أنت من ذكراها " ـ أي أرسلك الله ، وأنت خاتم الأنبياء وعلامة من علامات الساعة ، ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب ، فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ، ووجوب الاستعداد لها ، ولا فائدة في سؤالهم عنهـا .

فعلى هذا الوجه يكون معنى قوله تعالى : (الى ربك منتهاها) اليه تعالى يرجع منتهى علمها ـ أي علمها بكنهها وتفاصيل أمرهـا ، ووقت وقوعها ، لا الى أحد غيره سبحانه . وانما وظيفتهم أن يعلمـوا باقترابها ، ومشارفتها . وقد حصل لهم ذلك بمبعثك ، فما معنى سؤالهم عنهـا بعد ذلك .

وأما قوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) فيكون على هذا الوجه تقريرا لقوله تعالى : (أنت من ذكراها) ببيان أن ارساله عليه الصلاة والسلام ، وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة ، كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام : (بعثت أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني)[1] .

---

(١) تفسير الألوسي ج ٣٠ ص ٣٧ ، وراجع التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، وتفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٣٦ ، والحديث من مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٠٩ ، و ج ٥ ص ٣٤٨ .

ولعل سائلا يسأل هنا : لماذا خص الله تعالى انذاره صلى الله عليه وسلم بمن يخشى مع أنه عليه الصلاة والسلام قد بعث بشيرا ، ونذيرا لمن يخشى ، ومن لا يخشى ؟ .

والجواب على ذلك : أن تخصيص الانذار بمن يخشى ، لأنهم هم المنتفعون به ، وهم الذين يؤثر فيهم الانذار ، كقوله تعالى : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)[1] .

ومعنى الانذار " التخويف والتحذير " ، كما قال تعالى : (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)[2] ، أو نقول : ان " الانذار " : اخبار فيه تخويف ، كما أن التبشير اخبار فيه سرور)[3]. وجاء في التنزيل العزيز : (فأنذرتكم نارا تلظى)[4]

وهكذا في سورتنا هذه قوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) معناه : انما أنت أيها النبي الكريم تخوف من يخاف أهوال القيامة .

وكلمة " انما " أداة قصر – وقد تقدم بيانها في تفسير قوله تعالى : (فان الجحيم هي المأوى)[5] ، ففي هذه الآية الكريمة يكون القصر بانما من قصر الموصوف على الصفة ، والمعنى : ما أنت ، الا منذره لا معلم بالوقت معين له .

---

(١) سورة ق – الآية (٤٥) .
(٢) سورة غافر – الآية (١٨) .
(٣) مفردات القرآن ص ٤٨٧ .
(٤) سورة الليل – الآية (١٤) .
(٥) أنظر ص ١٧٧ من هذه الرسالة .

وقيل : هو من قصر الصفة على الموصوف ـ أى ما أنت منذر الا من يخشى دون غيره .[1]

والأول أولى ، لأن الثانى لا يناسب المقام ، ولا يوافق ما جاء فى آيات أخر ، مثل قوله تعالى : (ان أنت الا نذير)[2] ، وقوله سبحانه : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)[3] . فالناس عام يشمل جميع المكلفين من المؤمنين ، والكافرين ، والانذار يعم هؤلاء جميعا .

ويبقى هنا أن أذكر ما فى هذه الآية الكريمة من القراءات فأقول : ان الجمهور قرأوا باضافة منذر الى ما بعده ـ وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل . وبه قرأ أبو جعفر ، وشيبة ، والأعرج ، وابن محيصن وغيرهم .[4]

قال الزجاج : مفعل وفاعل اذا كان كل واحد منهما لما يستقبل ، أو للحال ينوّن ، لأنه يكون بدلا من الفعل ، والفعل لايكون ، الا نكرة .

ويجوز حذف التنوين لأجل التخفيف . والاضافة تخفيف ، وكلاهما يصلح للحال ، والاستقبال ، الا أنه اذا أريد الماضى ، فلا يجوز ، الا الاضافة ، كقوله : " هو منذر زيد أمس ".[5]

---

(١) تفسير الألوسى ج ٣٠ ص ٣٧ . (٢) سورة فاطر ـ الآية (٢٣) .
(٣) سورة سبأ ـ الآية (٢٨) . (٤) أنظر تفسير القرطبى ج ٨ ص ٧٠٠١
(٥) تفسير الكشاف للزمخشرى ج ٣ ص ٣١١ ـ ٣١٢ ، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازى ج ٨ ص ٣٥٥ .

قال الفراء عن القراءتين فى كلمة " منذر " ((وكل صواب : وهو مثل قوله تعالى : (بالغ أمره) و (بالغ أمره))[1] و (موهن كيد الكافرين)[2] و (وموهن كيد الكافرين)[3] .

وقال ابن جرير الطبرى : (والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب))[4]

(٥) بعد الكلام عن قوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) ننتقل الى الآية التى تليها ، والتى هى آخر آيات هذه السورة الكريمة قال تعالى وهو يختتم سورة النازعات : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) .

ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها — كما ذكر العلامة الألوسى — أنها تقرير ، وتأكيد ، لما ينبىء عنه الانذار من سرعة مجىء المنذر به ، والمعنى : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار ، الا قليلا[5] .

والآن ننتقل الى تحليل ألفاظ الآية القرآنية ، فنقول :

" كأن " حرف ينصب الاسم ، ويرفع الخبر ، يفيد التشبيه ، اذا كان خبره " جامدا " ، نحو كأن محمدا أسد ، والظن ، اذا كان خبره " مشتقا ، أو جملة " ، نحو : كأنك فاهم ، وكأنك كنت محسنا ،

---

(١) سورة الطلاق — الآية (٣) . (٢) سورة الأنفال — الآية (١٨) .
(٣) معانى القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٣٤ (٤) تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ٤٩ .
(٥) تفسير الألوسى — ج ٣٠ ص ٣٨ .

وهـــذا فى الغالب .[1]

ضمير الجمع هنا يرجع الى الكفار .

و " يرون " . الرؤية فى الأصل هى : الابصار بحاسة البصر . يقال : رأى الشئ يراه رؤية : اذا أبصره بحاسة البصر . وهناك رؤيتان :

الأولى : رؤية بصرية بمعنى النظر بالعين .

والثانية : رؤية قلبية بمعنى العلم ، أو الظن .

أما الرؤية البصرية ، فتتعدى الى مفعول واحد ، كما ورد فى الآية التى نحن بصددها .

وأما الرؤية القلبية ، فهى تتعدى الى مفعولين . يقال : رأيت زيدا عالمـــا .[2]

"يلبثوا" يقال : لبث بالمكان لبثا فهو لابث : أقام به ملازمـــا له . قال تعالى : (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما)[3] وقولـــه تعالى : (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يـــوم . قالوا ربكم أعلم بمـا لبثتم .)[4]

وقال صاحب اللسان : اللبث ، واللهاث : المكث ، ومنه قولـــه تعالى : (لابثين فيهـا أحقابا)[5] .

---

(١) مغنى اللبيب لابن هشام ج ١ ص ١٦٣ ، والمعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٧٧ .
(٢) أنظر مفردات القرآن ص ٢٠٩ ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٢ ، ومعجـــم ألفاظ القرآن الكريم ص ٤٣٧ . (٣) سورة العنكبوت ـ الآية (١٤) .
(٤) سورة الكهف ـ الآية (١٩) . (٥) سورة النبأ ـ الآية (٢٣) .

ثم ذكر قول الجوهري ، فقال : مصدر لبث لبثا على غير قياس ، لأن المصدر من فعل بالكسر قياسه التحريك ، اذا لم يتعدّ ، مثل تعب تعبا ، فهو لابث ، ولبث أيضا . وقال ابن سيدة : لبث بالمكان يلبث لبثا ولبثا ـ أي أقام .(١)

فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : (لم يلبثوا) لم يقيموا ، ولم يمكثوا .

" عشية " : العشية مؤنث العشي ، والعشي : قيل ما بين الزوال الى الغروب ، ومنه يقال للظهر والعصر : صلاة العشيّ .

ومنه حديث علي رضي الله عنه ساقه ابن الأثير فقال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى صلاتي العشيّ ، فسلم من اثنتين . يريد صلاة الظهر ، أو العصر .

وقيل : العشيّ : آخر النهار ، وقيل هو : من الزوال الى الصباح ، ويقال : لما بين المغرب ، والعتمة عشاء .(٢)

وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن الضحى عند تعرضنا لتفسير قوله تعالى : (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فلا داعي لتكراره الآن .(٣)

فعلى ضوء ما ذكرناه من معاني المفردات يكون معنى الآية الكريمة :

---

(١) لسان العرب (مادة ل ب ث) .
(٢) أنظر المصباح المنير ج ٢ ص ٢٨ ، والنهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١١٢ ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٢٩٠ .
(٣) أنظر ص ١٣٤ من هذه الرسالة .

كأن هؤلاء الكفار يوم يرون الساعة قائمة بأهوالها ، ويعاينون شدائدها (يظنون) أنهم ما لبثوا فى الدنيا الا قدر آخر نهاره أو أوله .

والمراد بذلك : أنهم يستقصرون جميع مدة ما لبثوا ، اما فى الدنيا ، واما فى القبور ، ويزعمون أن كلها ليست الا لحظة قصيرة ، كعشية يوم ، أو ضحى ذلك اليوم .

فمن الأول قوله تعالى : (قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، فسئل العادين)[1] .

ومن الثانى قوله سبحانه : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون ان لبثتم ، الا قليلا)[2] .

وقد ذهب العلامة أبو السعود فى هذه الآية الكريمة الى رأى معين فقال : ان (اعتبار كون اللبث فى الدنيا أو فى القبور لا يقتضيه المقام ، وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار ، أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار ، وردّا لاستبطائهم .)[3] .

وأما جمهور المفسرين قبله ، فقد ذهبوا الى أن المراد بمدة اللبث ، اما مدة لبثهم فى الدنيا ، واما فى القبور ، ويؤكد هذا مما جاء فى الآيتين الكريمتين اللتين سبق ذكرهما ، وهما : قوله تعالى : (قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين) الى آخر الآية الكريمة . وقوله

---

(١) سورة المؤمنون ـ الآية (١١٢) . (٢) سورة الاسراء ـ الآية (٥٢) .
(٣) تفسير أبى السعود ج ٥ ص ٢٣٦ .

تعالى : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا)[1] .

بقى لنا فى تفسير هذه الآية الكريمة نقطتان أعرضهما الآن فى صورة سؤال ، وجـــواب .

النقطة الأولـى : هل للعشية ضحى ؟ .

الجواب على ذلك : أنه ليس للعشية ضحى ، انما الضحى اسم لصدر النهار ، لكن العرب تقول : آتيك العشية ، أوغداتها ، وآتيك الغداة ، أو عشيتها ، فيستعملون الغداة بمعنى أول النهـــــار ، والعشية بمعنى آخر النهار ، وهكذا قوله تعالى : (الا عشـــية أو ضحاها) أى الا آخر يوم ، أو أوله .

وانما صحت اضافة الضحى الى العشية ، لما بينهما مـــــن الملابسة ، لاجتماعهما فى يوم واحد .[2]

النقطة الثانيـة : لماذا لم يقل الا عشية أو ضحى ؟ ، وما الفائـدة من الاضـــــافة ؟ .

الجواب على ذلك : أن المراد هو الدلالة على أن مدة لبثهم ، كأنها لم تبلغ يوما كاملا ، ولكن ساعة منه عشيته ، أو ضحاه . فلمـــا

---

(١) سورة الاسراء ـ الآية (٥٢) .
(٢) تفسير الزمخشرى ج ٣ ص ٣١٢ .

ترك اليوم أضاف الضحى الى عشيته ، فهو كقوله تعالى : (لم يلبثوا الا ساعة من نهار)[1] .

أما اذا تركت الاضافة ، فقيل : لم يلبثوا الا عشية أو ضحى لاحتمل أن يكون المراد من العشية عشية يوم ، ومن الضحى ضحى يوم آخر ، فيتوهم الاستمرار من ذلك الزمان الى مثله من اليوم الآخر بخلاف ما اذا قلت عشية يوم ، أو ضحاه ، فانه لا يحتمل هذا المعنى البتة .

وما يزيد الاضافة حسنا كون الكلمة فاصلة .[2]

---

(١) سورة الأحقاف ـ بعض الآية (٣٥) ، والآية بأكملها (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا ، الا ساعة من نهار بلاغ ، فهل يهلك ، الا القوم الفاسقون) .

(٢) أنظر تفسير الزمخشري ج ٣ ص ٢١٢ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ٣٨ .

((المعـــنى الاجمالى))

آخر آيات هذه السورة تخاطب النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أمر القيامة ، فتذكر سؤال المشركين الذين يسئلونه عنها استهزاء بهـــا ، وانكارا لقيامها ، وساعة وقوعها .

وقد رد الله تعالى عليهم بقوله : (فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها) أى ليس من شأنك أن تذكر لهم وقت وقوعها ، وقيامهـــا ، لأنك لا تعلم شيئا عن ذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم ذلك وحـــده .

وما عليك ، الا أن تنذرهم بالساعة ، وما فيها من أهوال ، وشدائد ، ولا ينتفع بدعوتك ، وانذارك ، الا من يستشعر فى قلبه خوف القيامـــة ، ورهبتها ، ويحسب حسابها فى الدنيا ، وهـــم المؤمنـــون .

أما هؤلاء الكفار الذين أكثروا من السؤال عن الساعة فى الدنيـــا ، واستهزؤا بهـــا ، فانهم يوم القيامة يظنون عندما يرون العذاب الـــذى أعده الله لهـــم أنهـــم لـــم يمكثوا فى قبورهم ، أو فى دنياهم ، ســـوى وقت قصير يتمثل فـــى أول النهاره أو آخـــره .

((ما يستنبط من الآيـات))

١ ـ عجز الانسان عن ادراك الأشياء الغيبية التى لا يعلمها ، الا الله عـز وجـل .

٢ ـ وقت قيام الساعة مما استأثر الله تعالى بعلمه .

٣ ـ وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقيامة تنحصر فى الانذار بهـا ، لا فى بيـان وقت قيامهـا .

٤ ـ وجوب الايمان بما استأثر الله تعالى بعلمه من غير التمنت بالسؤال .

٥ ـ خوف الانسان من عذاب الله تعالى يوم القيامة ، من شأنـه أن يزيد من طاعة الانسان لربه ، وامتثال أمره ، واجتناب نهيـه استعدادا ليوم القيامة .

٦ ـ رؤيـة المشركين لهول الساعة ، واستقصارهم آنذاك مدة لبثهم فى الدنيـا .

الخاتمہ

((الخاتمـــــة))

" بيـان أهداف الســـورة الكريمـــة "

أحمد الله سبحانه وتعالى الذى وفقنى فى دراسة سورة النازعـــات دراسة مستفيضة ، ويعلم الله أننى قد استفدت من دراستها كل الاستفادة ، وأرجو أن أكون قد وصلت الى الغاية التى كنت أتطلع اليها منـــذ أن بدأت فى دراسة هذه السورة الكريمة .

وقد اتضح لى من خلال هذه الدراسة أن أهداف السورة الكريمـــة تتلخص فيمـــا يلى :

أولا ــ اثبات عقيدة البعث ، والرد على المشركين فى انكارها .

فقد تحدثت سورة " النازعات " فى بدايتها عن اثبات عقيدة البعث ، وهو ما دعت اليه السور المكية على وجه العموم ، مثل سورة " النبـــأ " ، و " الواقعة " ، وغيرهما . ثـم ركزت سورة " النازعات " على ذلك المعـنى بجملة من الأساليب ، فناقشت منكرى البعث فى انكارهم ، وألقمتهم الحجة ، فلـم يجدوا جوابا يدافعون بـه عن أنفسهم أمام وضوح هذه القضية الهامة التى أقسم الله تبارك وتعالى عليها فى هذه السورة الكريمة .

ومن المعلوم أن سورة " النازعات " فى الجزء الثلاثين من القـــرآن الكريم . وفى الجزء الثلاثين كله ــ كما يقول الأستاذ سيد قطب ــ (تركيز على النشأة الأولى للانسان ، والأحياء الأخرى فى هذه الأرض من نبات ،

وحيوان ، وعلى مشاهد الكون وآياته فى كتابه المفتوح ، وعلى مشـــاهد القيامة العنيفة " الطامة " ، " الصاخة " ، " القارعة " ، " الغاشـية " ، ومشاهد الحساب ، والجزاء من نعيم وعذاب فى صور تقرع ، وتذهـــل ، وتزلزل ، كمشاهد القيامة الكونية فى ضخامتها ، وهولها ، واتخاذهـــا جميعا دلائل على الخلق ، والتدبير ، والنشأة الأخرى ، وموازينهـــا الحاسمة ، مع التقريع بها ، والتخويف ، والتحذير .. وأحيانا تصاحبها صور من صور الغابرين من المكذبين — والأمثلة على هذا هى الجزء كله »[1] .

هذا ، ويصح أن يقال : ان سورة النازعات خير مثال لهذا التركيز على هذه الحقائق ، والمشـــاهد .

ثانيا — الحديث عن موسى عليه السلام ، وارساله الى فرعون .

فقد بينت هذه السورة أن الله سبحانه وتعالى أرسل نبيّه موسى عليه السلام الى فرعون بسبب طغيانه ، وتجاوزه الحد فى كفره بالله ، وتعذيبه لبنى اسرائيل .

وقد قام موسى عليه السلام يدعوه الى التوحيد بأسلوب مدعم بالحجج ، والبراهين الساطعة من ناحية ، وبأسلوب رشيق رقيق من ناحية أخـرى ، مصداقا لقوله تعالى : (فقولا لـه قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)[2] ، كما أن موسى عليه السلام دعا قوم فرعون الى الله عز وجل ، وبين لهم ما فى

---

(١) تفسير " فى ظلال القرآن " ج ٣٠ ص ٣٨١ .
(٢) سورة مريم — الآية (٤٤) .

طاعة فرعون من خسران ، وما فى طاعة الله تعالى من فلاح .

ولما كانت دعوة موسى عليه السلام موجهة الى هؤلاء جميعا حاول فرعون أن يحول بين موسى عليه السلام ودعوة الناس الى الله تعالى مكذبا به ، ومعرضا عن دعوته ، ولا سيما حين أراه موسى عليه السلام الآيات التى أيده الله بها ، فسعى فرعون جاهدا فى ابطال هذه الآيات ، وحشر الناس ، والسحرة بغية الانتصار على موسى عليه السلام ، وابطال دعوته .

ولما كان ادعاء فرعون للألوهية باطلا وأمرا قبيحا ، وطغيانا كبيرا رد الله عليه باهلاكه ، لكى يكون عظة ، وعبرة لمن يعتبر . قال تعالى : (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)[1] .

أما الهدف من ايراد قصة موسى عليه السلام ، مع فرعون الطاغية فى هذه السورة الكريمة ، فهو تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانذار المشركين المعاندين المكذبين بالبعث . اذ أن الأحداث تحدث فى العصور المتلاحقة ، وان كان يختلف بعضها عن بعض اختلافا يسيرا . والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يواجهون تلك الأحداث بالمصابرة ، والمثابرة ، حيث ان السابق كان ذريعة لتسلية اللاحق ، وهكذا جاءت قصة موسى عليه السلام ، وفرعون الطاغية فى هذه السورة الكريمة ، لتكون تسلية

---

(١) سورة يونس ـ الآية (٩٢) .

للنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان أعظم الأنبياء حلما ، وأكثر الأنبياء تحملا للشدائد .

هذا من جهة ـ الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن جهة أخرى ، فان هذه القصة تنذر الكافرين المكذبين بالبعث فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أن من يسلك مسلك فرعون ، وقومه من كفر ، وطغيان لابد أن يصيبه مثل ما أصاب فرعون ، وقومه من هلاك ، ودمار .

فالقصص ليست أحداثا فقط ، وانما هى عظات ، وعبر ، لمن يتعظ ، ويتدبر .

ثالثا ـ ومن الأهداف التى دعت السورة الكريمة الى تقريرها ، ولفت الأنظار اليها تلك الأجرام العلوية ، والسفلية التى خلقها الله تعالى على أحسن نظام ، وهى : السماوات والأرض .

قال تعالى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس .)[1]

أما السموات فقد رفعها الله بغير عمد ترونها ، وزينها بالكواكب المضيئة ، ولا يوجد فيها خلل ، ولا اضطراب . قال تعالى : (الذى خلق سبع سماوات طباقا ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ، وأعتدنا لهم عذاب السعير .)[2]

(١) سورة غافر ـ الآية (٥٧) . (٢) سورة الملك ـ الآيات (٣ ـ ٥) .

وأما الأرض ، فقد خلقها الله للانسان ، وذللها له ، وأودع فيهـا الخيرات من الكنوز ، لينتفع الانسان بها . قال تعالى : (هو الذى جعـل لكـم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور .)[1]

ثم ان من يمعن النظر فى هذا الكون الفسيح يجد فيه نعما كثيرة . منهـــا :

ما جعله الله للأرض أوتادا كيلا تميد بالناس ، وهى الجبال . قـال تعالى : (وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون)[2] .

ومنها : نعمة الماء الذى هو أساس الحياة ، وأصلها ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ما للماء من كبير فائدة ، وعظيم أثر فى حياة الانســـان ، والنبات ، والحيوان . وقد صرح القرآن بذلك فى قوله : (وجعلنا مـن المـاء كل شىء حى .)[3] .

تلك المشاهد كلها فى هذا الكون الفسيح علويّة ، وسفليّة ان دلت على شىء ، فانما تدل على أن لهذا الكون خالقا ذا قدرة عظيمة يعلـم بواطن الأمـور ، ودقائقهـا .

فكل من يتدبر فيها بهذه النظرة الخاصة يخضع خضوعا تاما لمن خلقه ، وأحسن خلقه ، وخلق هذه الأشياء كلها ، وهو : الله رب العالمـين .

---

(١) سورة الملك ـ الآية (١٥) . (٢) سورة الأنبياء ـ الآية (٣١) .
(٣) سورة الأنبياء ـ الآية (٣٠) .

قال تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم لاتعلمون)(١).

رابعا ـ ومن أهداف سورة " النازعات " التى أبرزتها تصوير يوم القيامة ، وحال الناس فيه .

ففى هذا اليوم أهوال ، وعذاب للمكذبين ، وثواب ، ونعيم مقيم للمتقين الذين خافوا الله عز وجل ، ونهوا أنفسهم عن الهوى .

أما الذين لم يؤمنوا بالله ، والرسول ، والدار الآخرة ، واتبعوا أهوائهم فقد أعد الله لهم نارا تلظى .

وبهذا قررت السورة الكريمة أن الانسان لابد ، وأن يستحق الجزاء ، فالمؤمن جزاءه جنات تجرى من تحتها الأنهار بسبب ايمانه بالله ، ورسله ، واليوم الآخر ، وما قدمت يداه من أعمال صالحة .

وأما الكافر ، فجزاءه النار ، لكفره بالله ، ورسله ، وانكاره للبعث .

خامسا ـ ومن أهداف هذه السورة الكريمة كذلك تحديد وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد وصفته بعض آياتها بأنه منذر ـ أى ينذر الناس جميعا بالساعة ، وأهوالها ، كما أنه فى الوقت نفسه بشير ، فالرسول صلى الله عليه وسلم

(١) سورة البقرة ـ الآيتان (٢١ ـ ٢٢) .

بشـير ، ونذيـر للناس كافـة .

وقـد أشارت الى هذين الوصفين آيات كثيرة من القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : (أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا .)[1] ، وقوله تعـالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)[2] ، وقوله تعالى : (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا)[3] ، وغـير ذلك من الآيات .

وليس من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من وظيفته الاجابة عن سؤال المشركين عن موعد قيام الساعة ، وحلولها ، اذ أن القيامة مـن الأشياء التى لا يعلمها ، الا الله سبحانه وتعالى . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم من علاماتها ، كما يشير الى ذلك قوله عليه الصلاة والسـلام : " بعثت أنا والساعة كهاتين . "[4] ..

والله تعالى أعلـم .

---

(١) سورة يونس ـ الآيـة (٢) .
(٢) سورة سبأ ـ بعض الآية (٢٨) وكالهـا (.... ولكن أكثـر الناس لا يعلمـون)
(٣) سورة فاطر ـ الآية (٢٤) وسورة البقرة الآية (١١٩) .
(٤) صحيح البخارى ج ٦ ص٢٠٦ كتاب التفسير (سورة النازعات) .

والى هنا أكون قد انتهيت من تفسير ((سورة " النازعات " وبيـــان أهدافهـا)) ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى ذلك ، فان كان الأمـــــر كذلك ، فالفضل فى ذلك يرجع الى الله تعالى أولا ، وأخيرا (وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .)[1] وان كان الأمر غير ذلـك ، فيكفى أننى اجتهدت ، وبذلت قصارى جهدى ، وما قصرت وأستغفر الله العظيم من الزلل فى القول ، والعمل .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانـــا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى ، وعلى آلـه ، وصحبتـه وسلم تسليما كثـيرا .

---

(١) سورة هود الآيـة (٨٨) .

الفهـــــارس

فهرس المصادر والمراجـــع

القـــرآن الكريـــم .

صحيح البخارى (أبى عبدالله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦ هـ) . ط دار الشـعب بالقاهـــرة .

صحيح مسلم (ابن الحجاج القشيرى النيسابورى ت ٢٦١ هـ) ، تحقيـــق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى . الطبعة الأولى بمطبعـــة عيسى البابى الحلبى ١٩٥٥ م .

سنن أبى داود ، (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت ٢٧٥هـ) . دار الفكر بيروت .

المسند ، للامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) . دار صادر للطباعـــة والنشـــر . بيروت .

المستدرك على الصحيحين فى الحديث ، للحاكم (أبى عبدالله محمـــد النيسابورى ت ٤٠٥ هـ) . مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

---

١ ــ آيات القسم فى القرآن الكريم : للأستاذ / أحمد كمال محمد المهـدى سلم ، " رسالة ماجستير " ــ مخطوطة على الآلة الكاتبة ــ كليـــة أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهـــرة .

٢ ــ الاتقان فى علوم القرآن ، للسيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بـن أبى بكر ت ٩١١ هـ) الطبعة الثالثة بمطبعة مصطفى البابى الحلـبى بمصـــر ١٩٥١ م .

٣ ــ أساس البلاغة ، للزمخشرى (محمود بن عمر بن أحمد ت ٥٣٨ هـ) . دار مطابـــع القاهرة ١٩٦٠ م .

٤ ـ أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين ، للشيخ عبدالفتاح القاضي ، طبع دار المصحف بالقاهرة .

٥ ـ أسباب النزول للسيوطي . طبع دار التحرير بالقاهرة ١٣٨٢ هـ .

٦ ـ أضواء على متشابهات القرآن ، للشيخ خليل ياسين . طبع بيروت ، لبنان ١٩٦٩ م .

٧ ـ الأعلام ، للزركلي (خير الدين الزركلي . ت ١٩٧٦م) الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م .

٨ ـ أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، للبناني (سعيد الخوري الشرتوني ت) . مطبعة مرسلي اليسوعية ببيروت ١٨٨٩م .

٩ ـ املاء ما من به الرحمن ، من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ، لأبي البقاء العكبري (عبدالله بن الحسين ت ٦١٦ هـ) . وهو على هامش الفتوحات الالهية ط عيسى البابي الحلبي .

١٠ ـ البحر المحيط ، لأبي حيان وهو : (أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجياني ت ٧٤٥ هـ) . ط النصر الحديثة بالرياض ، السعودية .

١١ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧) . بتحقيق الأستاذ / محمد علي النجار . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٧ هـ .

١٢ ـ البيان في عدّ آي القرآن ، لأبي عمرو الداني (وهو : أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ابن عمر الأموي ت ٤٤٤ هـ) . مخطوط في مكتبة الأزهر . تحت الرقم الخاص (٥٣٦) الرقم العام ٢٢٢٧٩ .

١٣ ـ تاج العروس ، للزبيدي (محمد مرتضى ت ١٢٠٥ هـ) . دار صادر بيروت ١٩٦٦م ، مصور عن نسخة الطبعة الأولى بالمطبعة

الخيريـــة بمصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ .

١٤ ـ التبيان فى أقسام القرآن ، لابن قيم الجوزية (محمد بن أبى بكـــر ت ٧٥١ هـ) . مكتبة القاهرة بمصـــر .

١٥ ـ ترتيب القاموس المحيط ، على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، للأستاذ / أحمد الزاوى ، مفتى الجمهورية العربية الليبية طبع عيسى البابـى الحلبى ، الطبعة الثانية ١٩٥٩ م .

١٦ ـ تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (والصواب أنه للفيروز آبادى) . وهو : (تنوير المقباس) على هامش الدر المنثور للسيوطى . طبـــع بأوفست فى المطبعة الاسلامية بطهـران ١٣٧٧ هـ .

١٧ ـ تفسير ابن كثير (المسمى : تفسير القرآن العظيم) ، لعماد الديـن أبى الفداء اسماعيل ت ٧٧٤ هـ) . طبع عيسى البابى الحلبى بمصر .

١٨ ـ تفسير أبى السعود (المسمى : ارشاد العقل السليم الى مزايـــا القرآن الكريم) ، لمحمد بن محمد العمادى ت ٩٨٢ هـ) . ط . دار المصحف (مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد بالقاهرة) و ط . محمد علـى صبيـــح بمصـــر .

١٩ ـ تفسير البيضاوى (المسمى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، (لناصر الدين أبى سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى ت ٦٨٥ هـ) . مطبعـــة دار الكتب العربيـة الكبرى بمصـــر .

٢٠ ـ تفسير التبيان ، للطوسى (أبى جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن ت ٤٦٠ هـ) . بتحقيق وتصحيح الأستاذ / أحمد حبيـب قصير العاملى . مكتبـــة الأمين بالعـــراق .

٢١ ـ تفسير جزء عم ، للشيخ محمد عبده ت ١٣٢٣ هـ . مطبعـــة محمد علـى صبيح بمصـر ١٩٦٧ م .

٢٢ ـ تفسير الخازن ، (المسمى : لباب التأويل فى معانى التنزيل) ، (لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى ت ٧٢٥ هـ) . الطبعة الثانية ١٩٥٥ م بمطبعة مصطفى البابى الحلبى .

٢٣ ـ تفسير الطبرى (المسمى : جامع البيان عن تأويل القرآن (لأبى جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ) . الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣٢٩ هـ . والطبعة الثالثة بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٦٨ م .

٢٤ ـ تفسير غريب القرآن للسجستانى (وهو أبو بكر محمد بن عزيز ت ٣٣٠هـ) . ط. دار التراث العربى بالقاهرة .

٢٥ ـ تفسير القرطبى (المسمى : الجامع لأحكام القرآن) ، (لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى ت ٦٧١ هـ) . ط. دار الشعب بالقاهرة .

٢٦ ـ التفسير الكبير (المسمى : مفاتيح الغيب) للرازى ، (وهو : فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ت ٦٠٦ هـ) الطبعة الأولى ١٣٠٨ هـ بالمطبعة الخيرية بمصر وعلى هامشه تفسير أبى السعود ، وطبعه بالأفست عن طبعة المطبعة العامرة الشرقية ١٣٢٤هـ ـ دار الفكر بيروت ١٩٧٨ م .

٢٧ ـ تفسير المراغى (لأحمد مصطفى المراغى ت ١٣٦٤ م .) طبع مصطفى البابى الحلبى . الطبعة الأولى ١٩٤٦ م .

٢٨ ـ تفسير المنار ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ) . دار المنار ـ الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ .

٢٩ ـ تفسير النسفى (المسمى : مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، (لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ت ٧٠١ هـ) طبع محمد على صبيح بمصر ١٩٦٦ م .

٣٠ ـ تهذيب الأسماء واللغات ، للنووى (أبى زكريا محى الدين بن شرف ت ٦٧٦ هـ) . نسخة مصورة عن طبع ادارة الطباعة المنيرية ، بيروت.

٣١ ـ تهذيب الصحاح ، للزنجانى (محمود بن أحمد ت ٦٥٦ هـ) .
بتحقيق عبدالسلام محمد هارون وأحمد عبدالغفور عطاء .
دار المعارف بمصر .

٣٢ ـ تهذيب اللغة ، للأزهرى (أبى منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠ هـ) .
بتحقيق أحمد عبدالعليم البردونى . طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣٣ ـ حاشية الشهاب (المسماة : عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى) ، (لأحمد بن محمد شهاب الدين ت ١٠٦٩ هـ) .
دار صادر بيروت .

٣٤ ـ الدر اللقيط من البحر المحيط ، (لتاج الدين أبى محمد أحمد بن عبدالقادر ت ٧٤٩هـ) . وهو على هامش البحر المحيط لأبى حيان .
مطبعة النصر الحديثة بالرياض .

٣٥ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للسيوطى .
طبع بأوفست المطبعة الاسلامية بطهران ١٣٧٧ هـ .

٣٦ ـ ديوان طرفة بن العبد (ت نحو ٥٣٨ ـ ٥٦٤ ميلادية) المؤسسة العربية بيروت ـ لبنان .

٣٧ ـ الرسالة القشيرية ، للقشيرى النيسابورى (أبى القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة ت ٤٦٥ هـ) .
طبع مصطفى البابى الحلبى ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.

٣٨ ـ روح البيان ، لاسماعيل حقى البروسوى (ت ١١٣٧ هـ) .
المكتبة الاسلامية باستانبول ١٩٢٨ م .

٣٩ ــ روح المعانى (فى تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثانى) للألوسى ، (أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود ت ١٢٧٠ هـ) .
دار احياء التراث العربى ــ بيروت ــ لبنـــان .

٤٠ ــ زاد المسير فى علم التفسير ، لابن الجوزى (أبى الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن محمد القرشى البغدادى ت ٥٩٧ هـ) .
ط المكتب الاسلامى . دمشق وبيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٦٨ م .

٤١ ــ السراج المنير ، للشربينى (محمد بن أحمد ت ٩٧٧ هـ) .
ط. دار المعرفة بيروت لبنـــان . الطبعة الثانيـــة .

٤٢ ــ شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصـــارى (جمال الدين ت ٧٦١هـ) . الطبعة الأولى بمطبعة المامرة الشرقيـــة ١٣٠٣هـ .

٤٣ ــ شرح المفصل للنحوى (ابن على بن يعيش ت ٦٤٣ هـ) .
ادارة الطباعـة المنيريـة بمصـــر .

٤٤ ــ الصاوى على الجلالين ، (المعروف بحاشية الصاوى على الجلالـين) للشيخ أحمد الصاوى ت ١٢٤١ هـ. طبع عيسى البابى الحلبى بمصر .

٤٥ ــ الصحاح فى اللغة والعلوم ، للجوهرى (ت ٣٩٣ هـ) .
تجديد صحاح الجوهرى ، اعداد وتصنيف ، نديم مرعشيلـــى ــ أسامة مرعشيلى ط. دار الحضارة العربية ــ بيروت .

٤٦ ــ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى (أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ) . المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة .

٤٧ ــ فتح البيان فى مقاصد القرآن ، لصديق حسن خان ت ١٣٠٧ هـ) .
مطبعـة العاصمـة القاهرة .

٤٨ ــ فتح القدير ، للشوكانى " محمد بن على بن محمد اليمانى ت ١٢٥٠هـ) .
الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥١ هـ .

٤٩ ـ الفتوحات الالهية ، بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيـــة ، للجمل (سليمان بن عمر العجيلي الشافعي ت ١٢٠٤ هـ) ٠
طبع عيسى البابى الحلبى بمصـــر ٠

٥٠ ـ فلسفة المبدأ والمعاد ، للأستاذ محمد جواد مغنيـة ٠
المكتبـــة الأهليـــة بـيروت ٠

٥١ ـ فى ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب (ت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م) ٠
الطبعة الثانية بدار الشروق ، بيروت ١٩٧٦ م ٠

٥٢ ـ كتاب الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، للواحدى (أبى الحســين على بن أحمد ت ٤٦٨ هـ) ٠ طبع عيسى البابى الحلـــبى ٠
وهو على هامش مراح لبيد ـ تفسير النووى للشيخ محمد نووى ابـن عمر الجاوى (ت ١٣١٦ هـ) ٠

٥٣ ـ الكشاف ، عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، للزمخشرى (أبى القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) ٠
الطبعة الأخيرة بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٦٦ م ٠ وطبـــع مصطفـــى البـابى الحلبى ١٩٤٨ م ٠

٥٤ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادى (ت ٨١٧ هـ) ٠
طبـع المؤسسة العربيـــة ـ بيروت لبنـــان ٠

٥٥ ـ قصص الأنبياء ، للشيخ المرحوم عبد الوهاب النجار (ت ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م) ٠ ط مؤسسة الحلبى وشركاه ١٩٦٦م ٠

٥٦ ـ لسان العرب ، لابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الانصـــارى ت ٧١١هـ) ٠ مصور عن مطبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

٥٧ ـ المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ، لابن سيدة (على بن اسماعيـــل ت ٤٥٨ هـ) ٠ بتحقيق د / مراد كامل ٠ الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابـــى الحلـــبى ١٩٧٢ م ٠

٥٨ ـ مختار الصحاح ، للرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ت ٦٦٦هـ) .
بترتيب الأستاذ / محمود خاطر. مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،
و ط عيسى البابى الحلبى بمصر .

٥٩ ـ المصباح المنير ، للفيومى (أحمد بن محمد بن على المقرى ت ٧٧٠هـ)
الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية ١٣١٦ هـ .

٦٠ ـ معالم التنزيل (على هامش تفسير الخازن) ، للبغوى (أبى محمد
الحسين ابن مسعود الفراء ت ٥١٦هـ) ط مصطفى البابى الحلبى مصر
١٩٥٥ م .

٦١ ـ معانى القرآن ، للفراء (أبى زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ) .
تحقيق الدكتور / عبد الفتاح اسماعيل شلبى ومراجعة الأستاذ / على
النجدى ناصف . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م .

٦٢ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ؛ الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م .

٦٣ ـ معجم البلدان ، لياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله
الرومى البغدادى ت ٦٢٦ هـ) . دار صادر بيروت .

٦٤ ـ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة . دار احياء التراث العربى ـ بيروت.

٦٥ ـ المعجم الوسيط : الصادر عن مجمع اللغة العربية . مطبعة مصر ١٩٦٠م.

٦٦ ـ مغنى اللبيب ، لابن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) .
مطبعة عيسى البابى الحلبى .

٦٧ ـ المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى (أبى القاسم الحسين بن
محمد ت ٥٠٢ هـ) . بتحقيق وضبط / محمد سعيد الكيلانى .
الطبعة الأخيرة بمطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ١٩٦١ م .

٦٨ ـ نظم الدرر فى تناسب الآى والسور ، للبقاعى (وهو : ابراهيم بن عمر ابن حسن الرباط ، الخرباوى ، البقاعى ، الشافعى ت ٨٨٥ هـ)، (مخطوط) بدار الكتب تحت الرقم ٢١٣ تفسير ..
ومكتبة الأزهر تحت الرقم الخاص (٥٩٠) الرقم العام ١٢٨٥٥ ، تفسير .

٦٩ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ت ٦٠٦ هـ) ،
بتحقيق : محمود محمد الطناحى ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م، ط عيسى البابى الحلبى بمصر .

((فهرس الموضوعات))

الموضـــوع	رقم الصفحـــة
مقدمـــة ..... وتحتوى على ثلاث نقاط :	١ ــ ٧
(١) سبب اختيارى لهذا الموضوع	١
(٢) منهجى فى دراسة الموضوع بوجه عام	٤
(٣) منهجى فى تفسير سورة " النازعات "	٧
تمهيـــد ..... ويشتمل على ما يأتـــى :	٨ ــ ١٤
(١) تحقيق اسم السورة	٨
(٢) وجه تسمية السورة بهذا الاسم	١٠
(٣) تاريخ نزول السورة ، ووجه مناسبتها لما قبلها .	١٠
(٤) أقوال العلماء فى عدد آيات " سورة النازعات" .	١٢
منشأ الخلاف فى عدد الآيات	١٤
((المبحث الأول)) " القسم والمقسم عليه فى السورة الكريمة "	١٥
النص القرآنى الذي تدور حوله الدراسة فى "المبحث الأول" وهو عبارة عن الآيات : من (١) الى (٩) ..	١٦
تمهيـــد ..... ويحتوى على نقطتين :	١٧
النقطة الأولى : معنى القسم وأركانه	١٧
النقطة الثانية : فائدة القسم فى القرآن الكريم	٢٢

الموضـــوع	رقم الصفحـــة
الفوائد التى تتمثل فيما أقسم الله به :	٢٤
استحضار عظمة الله ، وجلاله	٢٤
اظهار تكريم المقسم به ، وتعظيم شأنه	٢٤
ارشاد العقول الى فساد بعض المعتقدات	٢٥
توجيه الأنظار الى مافى المقسم به من أسرار وحكم ..	٢٦
تعظيم المقسم به ، وبيان أهميته	٢٧
ازالة الريبة من المقسم به ، واظهار عظمة ما فيه ...	٢٨
الفوائد التى تتمثل فيما أقسم الله عليه :	٢٩
اثبـــات الوحدانية	٢٩
اثبـــات الرسالـــة	٢٩
اثبات القيامة ، وحقيقة الجزاء ، والحساب	٢٩
الدراسة التحليلية للآيـات من حيـث اللغة ، والاعـراب ، والبلاغة ، والقـراءة	٣٢ ـ ٤٩
دراسة الآيـة الأولـى من السورة الكريمة	٣٢
ود ود الثانيـة ود ود ود	٣٣
ود ود الثالثـة ود ود ود	٣٤
ود ود الرابعـة ود ود ود	٣٤
ود ود الخامسة ود ود ود	٣٥
المراد بالصفات المذكورة فى هذه الآيات	٣٦
القول الراجح فى تحديد المراد من هذه الصفات ..	٤١
أيـــمن المقســـم عليـه ؟	٤٢
دراسة الآيـة السادسة من السورة الكريمة	٤٤
ود ود السابعة ود ود ود	٤٥

الموضـــوع	رقم الصفحـة
ما المراد بالراجفة ، والرادفة في قوله تعالى (يـــوم ترجف الراجفـــة تتبعهـــا الرادفـــــة) ...	٤٦
دراسة الآيتين الثامنة ، والتاسعة من السورة الكريمة ..	٤٧
المعـــنى الاجمالـــى	٥٠
ما يستنبط من الآيات	٥٢
((المبحث الثانى))	٥٣
" انكار المشركين للبعث ، والـرد عليهـم "	
النص القرآنى الذى تدور حوله الدراسة فى "المبحث الثانى " وهو عبارة عن الآيات من (١٠) الى (١٤)	٥٤
تمهيـــد	٥٥
ويتضمن الحديث عن البعث بايجـاز	
الأدلة على وقوع البعث (أدلة نقلية ، وأدلة عقلية) ...	٥٨
مناسبة الآيات لما قبلها	٦٢
الدراسة التحليلية للآيات مـن حيـث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة ،	٦٤ — ٧٨
دراسة الآيـة العاشـــرة من السورة الكريمة	٦٤
ور ور الحادية عشـرة ور ور ور	٦٨
ور ور الثانيـة عشـرة ور ور ور	٧١
ور ور الثالثة عشرة والرابعة عشرة من السورة الكريمة	٧٤
المعـــنى الاجمالـــى	٧٩
ما يستنبط من الآيات	٨١
((المبحث الثالث))	٨٢
" حديث موسى عليـــه الســـلام "	

الموضـــوع	رقم الصفحـة
النص القرآني الذى تدور حوله الدراسة فى "المبحث الثالث" وهو عبارة عن الآيات : من (١٥) الى (٢٦)	٨٣
تمهيـــد	٨٤
ويتضمن الكلام عن قصة موسى عليه السلام بايجاز	
العظات المستفادة من الحديث عن موسى عليه السلام فى القـــرآن الكريـــم	٩٠
مناسبة الآيات لما قبلهـــا	٩٢
الدراسة التحليلية للآيات من حيث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة	٩٤ــ ١١٥
دراسة الآيـة الخامسة عشـرة من السورة الكريمة	٩٤
رر رر السادسة عشرة رر رر رر	٩٦
رر رر السابعة عشـرة رر رر رر	٩٩
رر رر الثامنـة عشـرة رر رر رر	١٠٠
رر رر التاسعة عشـرة رر رر رر	١٠٤
رر رر العشـــرين رر رر رر	١٠٥
رر رر الحادية والعشرين من رر رر	١٠٧
رر رر الثانية والعشرين من رر رر	١٠٨
رر رر الثالثة والعشرين ، والرابعة والعشرين من السورة الكريمة ...	١١٠
رر رر الخامسةوالعشرين رر رر رر	١١٢
ما هو النكال لغة وما اعرابه ؟	١١٢
ما المراد بالآخرة والأولى فى الآية الكريمة	١١٣
دراسة الآية السادسة والعشرين من السورة الكريمة	١١٥
المعـــنى الاجمـــالى	١١٦
ما يستنبط من الآيات	١١٨

الموضوع	رقم الصفحة
((المبحث الرابع))	
" بعض مظاهر القدرة الالهية "	١٢٠
النص القرآني الذي تدور حوله الدراسة في "المبحث الرابع" وهو عبارة عن الآيات : من (٢٧) الى (٣٣)	١٢١
تمهيد	١٢٢
ويتضمن الحديث بايجاز عن بعض مظاهر القدرة الالهية	
مناسبة الآيات لما قبلها	١٢٩
الدراسة التحليلية للآيات من حيث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة :	١٣١ ـ ١٥٥
دراسة الآية السابعة والعشرين من السورة الكريمة ...	١٣١
" " الثامنة والعشرين " " " ...	١٣٣
" " التاسعة والعشرين " " " ...	١٣٤
" " الثلاثين " " " ...	١٣٦
التوفيق بين ما ظاهره التعارض في هذا المقام	١٣٨
دراسة الآية الحادية والثلاثين من السورة الكريمة ...	١٤٩
" " الثانية والثلاثين " " " ...	١٥١
" " الثالثة والثلاثين " " " ...	١٥٣
المعنى الاجمالي	١٥٦
ما يستنبط من الآيات	١٥٨
((المبحث الخامس))	١٥٩
" يوم القيامة ، وما فيه من ثواب ، وعقاب "	
النص القرآني الذي تدور حوله الدراسة في "المبحث الخامس" وهو عبارة عن الآيات : من (٣٤) الى (٤١)	١٦٠

الموضـــوع	رقم الصفحـــة
تمهيـــد	١٦١
ويشتمل الحديث على يوم القيامة ، وما فيه من ثواب، وعقـــاب بايجـــاز	
مناسبة الآيات لما قبلها	١٦٥
الدراسة التحليلية للآيات من حيث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقـراءة	١٦٦ ـ ١٨٥
دراسة الآيـة الرابعة والثلاثين من السورة الكريمة ...	١٦٦
رر رر الخامسة والثلاثين رر رر رر ...	١٦٩
رر رر السادسة والثلاثين رر رر رر ...	١٧٠
المراد من قوله تعالى : (لمن يرى) ، والقراءة في ذلك .	١٧٢
دراسة الآيـة السابعة والثامنة والثلاثين من السورة الكريمة	١٧٣
سبب نزول قوله تعالى : (فأما من طغى) وما بعده	١٧٤
دراسة الآيـة التاسعة والثلاثين من السورة الكريمة ...	١٧٧
رر رر الأربعين والحادية والأربعين	١٧٩
المعـــنى الاجمالـــى	١٨٦
ما يستنبط من الآيات	١٨٨
((المبحث السادس))	١٨٩
(سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عـــن الساعـــة)	
" النص القرآني الذي تدور حوله الدراسة في المبحث السادس" وهو عبارة عن الآيات : من (٤٢) الى (٤٦)	١٩٠
تمهيـــد	١٩١
ويتضمن الحديث بايجاز عن سؤال المشركين النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة	

الموضـــوع	رقم الصفحـة
مناسبة الآيات لما قبلها ، وسبب النزول	١٩٨
الدراسة التحليلية للآيات من حيث اللغة ، والاعراب ، والبلاغة ، والقراءة	٢٠١ ـ ٢١٦
دراسة الآية الثانية والأربعين من السورة الكريمة	٢٠١
رر رر الثالثة ، والرابعة ، والخامسة والأربعين من السورة الكريمة	٢٠٤
وجهان فى قوله تعالى : (فيم أنت من ذكراها)	٢٠٦
دراسة الآية السادسة والأربعين من السورة الكريمة	٢١١
المعنى الاجمالى	٢١٧
ما يستنبط من الآيات	٢١٨
((الخاتمة))	٢١٩
(بيان أهداف السورة الكريمة)	
وهى تتلخص فيما يلى :	
أولا : اثبات عقيدة البعث ، والرد على المشركين فى انكارها	٢١٩
ثانيا : الحديث عن موسى عليه السلام ، وارساله الى فرعون ...	٢٢٠
ثالثا : من الأهداف التى دعت السورة الكريمة الى تقريرها ، ولفت الأنظار اليها تلك الأجرام العلوية ، والسفلية التى خلقها الله تعالى على أحسن نظام ، وهى السماوات والأرض	٢٢٢
رابعا : من أهداف سورة "النازعات" التى أبرزتها تصوير يوم القيامة ، وحال الناس فيه	٢٢٤
خامسا : من أهداف هذه السورة الكريمة كذلك تحديد وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٢٤

مع تحيات

مكتب الايمان
للآلات الكاتبة والطباعة
أوفسيت • استنسل
نسخ • طبع • ترجمة • تجليد
عرب اليسار – درب الداود الصغير / ٢
ميدان السيدة عائشة بالقلعة